

الحوار بين الأديان

اتجاهاته، آفاقه، تحدياته

الحوار بين الأديان اتجاهاته، آفاقه، تحدياته

د . رعد حميد توفيق البياتي،

مكتب شمس الأندلس للطباعة والنشر،

الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٨ .

عدد صفحات الكتاب: ٩٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

(٣٢٢٤) لسنة ٢٠١٨

الإعداد الإلكتروني والتصميم والطباعة

في مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية

والتصميم والنشر

بغداد/الأعظمية

هـ: ٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١

الترميز الدولي:

ISBN: 0000000000000



الطّبعَــة الأَولـْـى

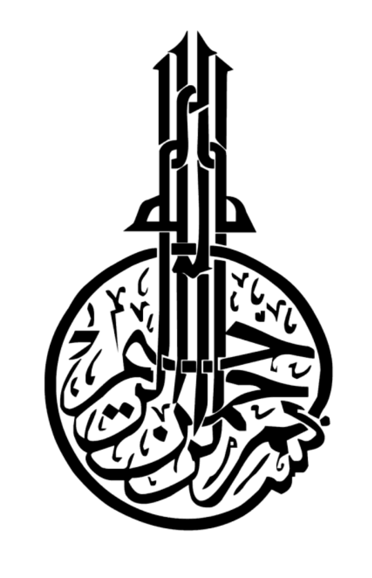
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

الحوار بين الأديان

اتجاهاته - آفاقه - تحدياته

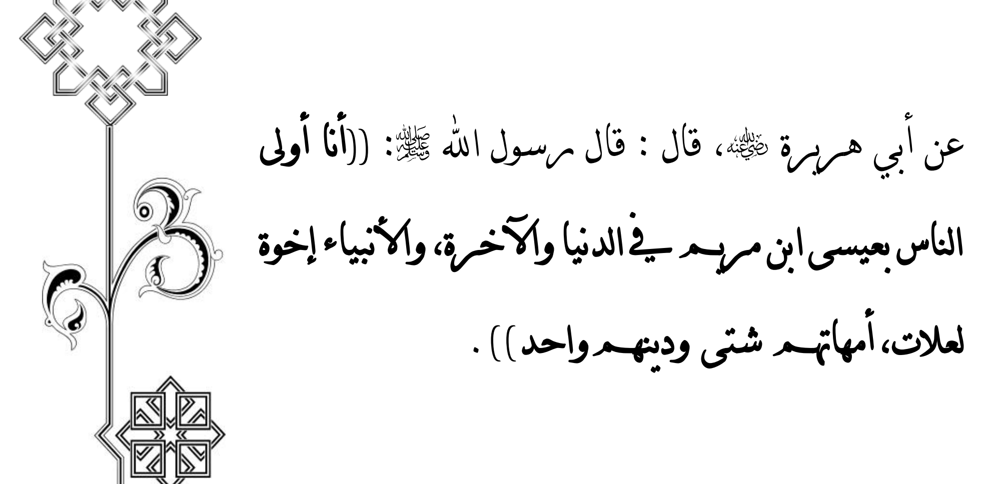
إعداد

د. رعد حميد توفيق البياتي



﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

سورة آل عمران: الآية ٦٤



عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **((أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد))**.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين..

الملاحظ ان التراجيديا الانسانية بلغت اوج محنتها ووصلت في التدحرج الى قاع انحطاطها واصبح مفكريها وسياسيها واعلاميها يعزفون على اوتار دراميات صدام الحضارات وسرديات نهايات التاريخ واضحت التراشقات الارهابية والتهديد بالصواريخ الذكية والغبية هَمّا عالميا مؤرقاً، والتطرف والكراهية المتجذرة في العقائد والشرائع الشفوية والرؤى الدونية للمخالف امرا واقعا عيانيا، وانعكس ذلك بقصور وتقصير في التعارف والتواصل الديني وانعدام همة دينية للدعاة الباحثين عن هداية القلوب الى طريق الله والدفاع عن الاسلام والمسلمين من تعليب العقول تحت مسميات الحوار او العلمانية او العولمة.

ففي زمن الاحتباسات الحضارية والاحترابات الدينية والطائفية، وفي عهد فوضى الانتماءات والولاءات ومرحلة انبعاث الهويات الميتة والمميتة، ماذا يمكن ان يقدم دعاتنا الى الله وما تلك الاجهزة المفهومية والمفاهيمية المعاصرة التي يمكن ان يستثمرها من اجل قضية ان الدين لله تعالى والاسلام خاتم الاديان، وبعد ان اخذ الحوار طابع التقديس مغلقين العيون عمن يقف ورائه ولماذا نرى تلك الدعوات المتكررة له

وما موقف الاسلام منه، وهل للحوار المعاصر علاقة مباشرة مع اصل الرؤية القرانية للعلاقات بين الاديان واهل الكتاب، ام ان هنالك تنصير ممنهج يتم تغليفه بغلاف الحوار الديني او التعايش السلمي؟

لذا فما نطرحه هو دعوة الى دعاتنا للاسهام في بيان تلك الاضافات النوعية لمنهجية الدعوة والتحاور المشروع والتي تسهم في اغناء منظومة الحوار من اجل تثبيت القيم الفكرية ومن اجل اطفاء مواقد حروب الاديان والمذاهب والعقائد، لا سيما ان النخب الفكرية والدينية في محافلها المتنوعة قد توشح وترسخ في ذهنها ان الحوار هو وحده مشروع الامل ومشروع الانتشار والهداية للبشرية.

تمهيد
التعريف بالمصطلحات

أولاً: الحوار

أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.

يقول ابن منظور: الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة وقالوا أيضا هو الوسع، يقال عين حوراء أي واسعة وعليه فالحوار يوسع موضوع التحاور ويكثر جوانبه ومسائله.

وقال الراغب الأصفهاني: المحاورة والحوار: المرادّة في الكلام، ومنه التحاور.

وهذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها مادة (حور).

فقال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ . قال القرطبي: أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب.

وقال ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله. وليس كذلك، إلا حار عليه» قال النووي: رجع عليه.

ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

ولم تبعد تعريفات أهل الاصطلاح للحوار عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدتها وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار.

ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور صالح بن حميد، إذ اعتبر الحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

وعرّفه بسام داود عجك بأنه: محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر.

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً.

ثانيا: الجدال:

من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه ؛ وهو مستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مُقابَلَة الأدلة لظهور أرجحها، والجدال ماخوذ من جدلت الحبل أي فتلته، وهو اللدد في الخصومة.

والحوار والجدال ذو دلالة واحدة، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ ويراد بالحوار والجدال في المصطلح: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

وقد يكون من الوسائل في ذلك: الطرق المنطقية والقياسات الجدليَّة من المقدّمات والمُسلَّمات، مما هو مبسوط في كتب المنطق وعلم الكلام وآداب البحث والمناظرة وأصول الفقه، وهي محور العلاقة بين الإسلام واهل الكتاب وغيرهم من معتنقي الأديان الوضعية والفلسفات الوضعية.

ثالثا: الصراع:

الصراع مأخوذ من صرع والصرع الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان صارعه فصرعه يصرعه صرعا والجمع صرعى والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه وفي الحديث «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى» أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب والمَصرع موضع ومصدر، ورجل صروع الأقران أي كثير الصرع لهم، وقيل: الصراع بالكسر صرع، المصارعة: اجتهاد الشخص أن يلقي من يصارعه أرضا، وورد في القران الكريم مرة واحدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾، واكتسب المصطلح مفهوما سياسيا واسع الانتشار واتخذ طابع النظرية في القرن التاسع عشر حين ورد في البيان الشيوعي لماركس الذي جاء فيه (ان تاريخ المجتمع كله حتى اليوم هو تاريخ صراع الطبقات) وهذا المصطلح هو نفسه الذي نراه اليوم عند المفكرين المروجين للصراع او الصدام بين الحضارات والثقافات كالفكرة التي أطلقها المستشرق اليهودي برنارد لويس، وقام بتأصيلها والترويج لها عالم السياسة الأمريكي صمويل هنتنجتون ابتداء من عام **١٩٩٣**م، وأصبحت جاهزة لتسويغ وتبرير المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي، ذلك أن هنتنجتون بعد أن ميز

بين سبع حضارات في العالم (الغربية، الأمريكية اللاتينية الأرثوذوكسية، الإسلامية، الكونفوشيوسية، الهندوسية، اليابانية، ورشح الأفريقية كحضارة ثامنة محتملة)- فإنه دعا إلى الاحتشاد في مواجهة الحضارة الإسلامية بوجه أخص، في الأغلب، بسبب أنها أكثر استعصاء على الاحتواء من أي حضارة أخرى على وجه الأرض، من ثم فإن رسالته التي تعبر عن رأي مدرسة كاملة هي التأكيد على أن الصراع ليس محله المصالح فحسب ولكنه أصبح بعد انتهاء الحرب الباردة صراع ثقافات وأديان، وحجته في ذلك ان القوميات يمكن ان تتمازج وتتقارب بحيث يكون الرجل عربي وكردي وفرنسي وأمريكي أي يعلم لغاتهم ولكن من الاستحالة تمازج الأديان فلا يكون الرجل يهودي ومسلم في آن واحد وهلم جرا.

الفصل الأول
اتجاهات الحوار بين الأديان

أولا: الرؤية الإنسانية للحوار

الحوار هو إحدى السمات الحضارية التي ينتقل بها الإنسان من حالة العزلة والتوحش، إلى الحياة المدنية والاجتماعية، وهو في نفس الوقت وسيلة التفاهم بين الأفراد والشعوب من أجل تبادل المصالح وتحقيق المنافع، وعندما يفشل الحوار بين الأفراد تحدث القطيعة، كما أنه عندما يتوقف بين الدول تقع الحروب، وليس صحيحًا ما يقال إن الحرب هي أحد أنواع لغة الحوار، فليس في الحرب حوار على الإطلاق، لأنه لا يوجد حوار في حال القتل والتدمير، وإنما هي غريزة الغضب، حين تعبر عن نفسها بصورة وحشية، وهذا ما يجعلنا نقرر أن الحوار مرتبط بالعقل والمصلحة والعمران، وأنه بقدر ما يكون هناك حوار متصل بين الدول يبتعد شبح العدوان والتخريب.

ومن ناحية أخرى فإن استمرار الحوار في المجتمع، وتعدد مستوياته، وتنوع موضوعاته – تعد علامة صحية على حيوية هذا المجتمع، واتجاهه إلى مزيد من التقدم، وتحقيق الازدهار. وفى المقابل من ذلك، فإن المجتمع الخالي من الحوار تسوده العزلة، وينخر فيه الضمور، على الرغم مما قد يبدو على سطحه من الهدوء والاستقرار.

ثانيا: دوائر الحوار:

والدوائر هي الحلقات او المستويات التي تبين مدى قرب المحَاوَر الى المُحاوِر وعليه فللحوار دوائر متعددة. تبدأ من:

- دائرة حوار الإنسان مع نفسه. والواقع أن هذا الحوار لا يتوقف أبدًا. وهو يتجلى بصورة واضحة قبل اتخاذ القرارات، وكذلك بعدها. وهذا هو المستوى الواقعي الذى تترتب عليه نتائج عملية في الحياة اليومية. ولا شك أن درجة الثقافة والوعى بالبيئة المحيطة إلى جانب الذكاء الشخصي: تعدّ عوامل هامة في جودة اتخاذ القرارات المناسبة في مختلف المواقف التي يتعرض لها الإنسان.

لكننا ينبغي أن نتنبه إلى أن حوار الإنسان مع نفسه قد ينتقل إلى مستوى خيالي خالص، وهو ما يطلق عليه عادة (أحلام اليقظة)، أي الحوار مع النفس حول أمور غير قابلة للتحقيق. وليس هذا المستوى مرفوضًا كله، بل إنه مطلوب بجرعات محددة، يكون الغرض منها تحفيْز صاحبها إلى مزيد من العمل وبذل الجهد.

خطورته: فتتمثل في الاستنامة له، وإدمانه على نحو مَرَضى، والأكثر خطورة أن الحوار يتحول من الحديث بين اثنين إلى حديث من طرف واحد، وإصغاء كامل من الطرف الآخر (الإنسان ونفسه).

وتتمثل الدائرة الثانية في:

- حوار الإنسان مع أفراد أسرته، وأصدقائه، وأهم ما يميز هذا النوع هو:(الحرص على مصلحة الإنسان، وشيوع روح المودة، وتناول مختلف الموضوعات بدون حرج)، لكن أهم ما يفسده او ما نسميه سلبياته هو:(الاقتصار على سماع الرأي الذى يتمشى مع ميول الإنسان وأهوائه، ونفوره من الرأي الذى يتعارض معها). هنا ينقطع الحوار، ولا يبقى إلا صوت واحد، هو الصوت الذى يريد أو يرغب الإنسان في سماعه. وعند التحليل الأخير، لن يكون هذا الرأي إلا رأيه هو ! إن الحوار الحقيقي يحتاج إلى احتكاك عقول متباينة بعضها ببعض وعليه فاي حوار تسلطي لا معارضة فيه واحتكاك فكري يكون غير مفيد ولا يسمى حوار بالمعنى الحقيقي، وهذا الاحتكاك هو الذى يولد وجهات النظر المختلفة، والتي لا تخلو كل واحدة منها من فائدة. وكما قال (بول فاليري) بحق: "علينا أن نغتنى

بخلافاتنا" والمقصود أن نستفيد من الآراء الأخرى بوصفها وجهات نظر للموضوع أو للمشكلة المطروحة من زوايا متعددة، قد تتيح لنا مالا تتيحه النظرة الواحدة من منظور واحد.

أما الدائرة الثالثة فتتمثل في:

- حوار الإنسان مع زملاء العمل. وهنا ينحصر الحوار في مجال أو مجالات محددة، ويحركه في الغالب حب الغلبة، والمنافسة، لكنه عندما يخلو من المطامع والأغراض الشخصية، وينصب على مصلحة العمل، وتحسين وسائل الأداء، أو زيادة الإنتاج فإنه يكون مثمرًا للغاية. ومما يساعد على ذلك وجود القدوة على رأس العمل، الذى يهيئ الظروف المناسبة للحوار البناء، من خلال اجتماعات، تشيع فيها روح الديمقراطية، وعدم الخوف من التعبير عن مختلف الآراء، وتشجيع أصحاب الأفكار الجديدة والمبادرات.

وهنا لابد من التوقف قليلاً عند كلمة مأثورة في ثقافتنا العربية تقرر أن (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) وهى عبارة جميلة جدًا تتضمن قاعدة ذهبية من قواعد الحوار، لكننا نلاحظ عدم تطبيقها في حياتنا اليومية، ولا في معاملاتنا مع الآخرين. فنحن نغضب جدا ممن

يختلف معنا في الرأي، ويسرع المنافقون فيصورونه لنا على أنه عدو يسعى لتدميرنا، وهكذا يتحول صاحب الرأي المخالف إلى "جبهة أخرى" تستحق التدمير، بدلاً من أن نواصل الحوار معه بهدف الوصول إلى أرضية مشتركة، أو نقطة وسط.

ومن التجارب المتكررة أن صاحب الرأي الآخر أو المختلف قد يخونه التعبير، فيذكر ألفاظا قد تسيء إلى من يحاوره، وهنا يتحول الحوار إلى عراك شخصي، ويبتعد تماما عن الموضوعات التي كانت أساسا للحوار. وهكذا قد تتسبب زلة لسان في إفساد حوار، كان من الممكن أن يؤدى إلى نتائج جيدة.

إلى جانب ذلك، هناك عبارات قد يستخدمها المحاور فتهدّئ من عدوانية الطرف الآخر، وأحيانًا ما تقوم بتخديره. وكثيرا من الأشخاص كان يحشو حديثه بألفاظ (حضرتك، سيادتك، سعادتكم.. إلخ) بينما ينطوي الحديث على الكثير من المغالطات والأخطاء، ومع ذلك كانت تغتفر له. وهذا هو ما يطلب أن نطلق عليه مصطلح "مخدرات الحوار". وبالطبع فإنها لا تؤثر إلا في المدمنين على سماح المديح، أو الذين يفضلون عدم استخدام عقولهم.

وأخيرًا نصل إلى دائرة للحوار أكثر اتساعًا وتنوعًا:

- وهى حوار الإنسان مع المجتمع. ولا شك أن هذه الدائرة تشمل حشدًا متنوعًا من أنواع الحوار التي يجريها الإنسان مع أشخاص قد يرغب في إقامة علاقات معهم، أو تضعهم الظروف في طريقه. فمثلاً عندما تسافر في قطار أو طائرة تجد نفسك بجوار شخص لا مفر من أن تتبادل معه بعض كلمات المجاملة، التي قد تتحول إلى حوار ينتهى عادة بإنتهاء الرحلة. في هذا النوع من الحوار عليك أن تستخدم كل ثقافتك التي حصلتها حتى تكون على مستوى الحدث – كما يقولون، فلا ينبغي أن تبدو أقل من محاورك معرفة أو اطلاعًا. وعليك في هذه الحالة أن تتقبل منه بعض الآراء التي قد لا تروق لك، كما أن عليك أن تجعل الحديث عذبًا وتحافظ على استمراره. هنا يتخلل الحوار الكثير من الابتسامات، وهز الرأس موافقة، ويكاد ينعدم الخلاف.

لكنك حين تضطر لاستدعاء من يصلح لك الثلاجة أو التليفزيون في المنزل، عليك أن تجرى حوارًا من نوع آخر تمامًا. فأنت تريد تحقيق مصلحتك بأقل مبلغ ممكن، والطرف الآخر يبالغ في حجم الإصلاح،

وبالتالي يزيد الأجر. وهنا يدور حوار قد تعلو نبراته وتهبط، وتستخدم فيه وسائل متعددة منها التهديد بالتعامل مع عامل آخر ومنها الإغراء باستمرار التعامل معه في المستقبل، ومنها الاستعطاف والاسترضاء حتى يصل الحوار إلى الهدف المطلوب، وهو تحقيق مصلحة كلا الطرفين.

وهكذا فإن دائرة حوار الفرد مع المجتمع تتسع وتتنوع لتشمل أحيانًا حوارًا مع تلميذ في مدرسة، أو طالب في جامعة، أو عامل في مصنع، أو فلاح في حقل، أو شخص على مقهى، أو بائع في محل، أو شرطي في مخفر.. وكما يتضمن حوارًا هادئًا ومعقولاً فإنه قد يشمل حوارًا صاخبًا ومتهورًا. وهنا ينبغي على الإنسان أن يكون على وعى بمستويات الثقافة الموجودة في المجتمع، وأن يجيد التعامل مع كل منها دون استعلاء عليها، أو تفريط لحقوقه فيها. ولا شك أن إجراء الحوار مع كل من هذه الأطراف المتنوعة يتطلب لغة خاصة، وأسلوبًا في الإقناع يتناسب مع صاحبه. وهو يثبت أننا لم نعد أمام "حوار" واحد، وإنما أمام "حوارات" متعددة. وهذا يقودنا إلى الحديث عن أنواع الحوار.

ثالثا: أنواع الحوار:

للحوار أنواع كثيرة، تختلف باختلاف المنظور إليها، فهناك أنواع للحوار من حيث:

١. شكله.

٢. طابعه.

٣. نتائجه.

وفيما يلي كلمة مختصرة عن كل نوع منها تبعًا للمنظور الخاص بها:

أ. الحوار من حيث شكله:

هناك نوعان أساسيان هما الحوار الشفهي – وهو محل الدراسة –، والحوار المكتوب. ومن الواضح أن الأول منهما هو المستخدم في سائر شئون الحياة اليومية، وهو يتميز بالحيوية والسرعة، ويهدف إلى تحقيق المصالح العاجلة، مستخدمًا الحجج الخطابية والعاطفية إلى جانب القليل من الحجج العقلية.

أما الحوار المكتوب فيمكن وصفه بأنه حوار العقل والمنطق، وهو يمتلئ بالحجج البرهانية والجدلية، ولأنه لا يسعى لتحقيق مصالح

عاجلة أو قريبة فإنه يتصف بالطول، وبقدر من البرود، لأنه يناقش أفكارًا، واللجوء فيه إلى العاطفة أو الانفعال يعد أمرًا معيبًا. كذلك فإن التجريح الشخصي يهبط بقيمته، ويخرجه عن المستوى اللائق به.

وللحوار المكتوب أصول يجب الالتزام بها، وآداب ينبغي مراعاتها. فمن ذلك مثلاً: الأمانة في عرض وجهة النظر الأخرى، وتحديد نقاط الخلاف الرئيسية، والرد على كل منها بموضوعية، وتوثيق المعلومات الواردة بقدر الإمكان، مع بيان الأساس أو الأسس التي يستند إليها الرد والمردود عليه، وفى كل ذلك ينبغي إظهار الاحترام اللائق لصاحب الرأي الآخر، والابتعاد تمامًا عن الإساءة إليه أو الاستهزاء به، حتى ولو كانت آراؤه ضعيفة، وحججه متهافتة.

وفى ثقافتنا العربية صفحات كثيرة ورائعة تعد نماذج جيدة على الالتزام الكامل بأصول الحوار وآدابه. ويكفى أن لدينا علمًا خاصًا بذلك، هو "علم آداب البحث والمناظرة". لكننا نعثر أيضًا على مناظرات تمثل أنواعًا من الحوار، الذى لم يتحقق فيه هذا الالتزام، أو تحقق بدرجات متفاوتة، وجرى فيه تجريح الخصوم ووصفهم بالكفر والفسق والفجور، كما تم تشبيههم أحيانًا بالخنازير والكلاب !

ب. الحوار من حيث طابعه:

توجد ثلاثة أنواع من الحوار، أولها الحوار الهادئ الحميم الذى يدور عادة بين أطراف متفقة سلفًا في الرأي والتوجهات. وهذا الحوار على الرغم من أوصافه التي تحظى من الجميع بالقبول والرضا، إلا أنه قد يتحول بالتدريج إلى نوع من الحوار مع النفس، أي حوار من طرف واحد، لا يوجد فيه سوى رأى واحد، يُوافق عليه المتحاوران.

وثانيها الحوار الموضوعي الذى يدور عادة بين أطراف مختلفة في الرأي، يعرض كل منهم وجهة نظره، مدعمًا إياها بالأدلة، وموضحًا بالأمثلة، لإقناع الأطراف الأخرى، ثم يقوم غيره بعرض ما لديه، وهكذا يسير الحوار بنظام وموضوعية، مع إتاحة الفرصة للتعقيبات، وإعطاء كل واحد من المتحاورين الوقت المناسب والمحدد له، حتى يتبلور في النهاية رأى صحيح، ويحظى بإجماع الحاضرين أو بأغلبية الأصوات.

في مثل هذا النوع من الحوار، ينبغي أن تنصب المناقشات حول الأفكار، وليس الأشخاص، حول أسلوب العمل وليس القائمين عليه، حول قيمة النتائج والوصول إلى أفضل عائد منها، ومن المفترض أن يبدأ

الحوار ويتطور في وجود مجموعة من الحقائق المعلنة أمام الجميع، وأن يستعان في ذلك بالأرقام الموثقة والرسوم البيانية الصحيحة.

أما النوع الثالث من الحوار، فهو الحوار المتشنج، وهو الذى يدور عادة بين أطراف مختلفة سلفا، لا يسمح كل منها بقبول أي رأي من الطرف الآخر، بل إنه يسعى بكل الوسائل لإسكاته، أو التشويش عليه، إما برفع الصوت، أو بتحريك الأيدي، أو حتى بالتهديد بالضرب. وأحيانا ما يحدث من أحد الأطراف انسحابه من جلسة الحوار لواحد من سببين: إما لكى لا يتيح أي فرصة للطرف المخالف له للتعبير عن رأيه، حتى لا يعرف وينتشر، وإما لحرصه على أن يفوز هو نفسه في الحوار، حتى ولو كان رأيه ضعيفا، وأدلته متهاوية. في مثل هذا النوع من الحوار يسود التعصب، وضيق الأفق، وتغلى النفوس بالغضب، ويسعى المحاور أو المحاورون من جبهة واحدة إلى ضرورة القضاء المبرم على خصومهم. ولا شك أن هذا الجو لا يسمح للحقيقة أن تظهر، ولا للآراء الصائبة أن تعبر عن نفسها، وبالتالي تفشل عن تحقيق الأهداف المرجوة منها.

ج. الحوار من حيث نتائجه:

هناك ثلاثة أنواع، أولها الحوار العقيم، الذى يدور أساسا حول مشكلة زائفة، أي مشكلة من اختراع شخص أو أشخاص تكون لهم مصلحة خاصة في شغل الناس عن مصالحهم الحقيقة. ومن ذلك مثلا الحديث عن مشكلة شاب يقتل والديه (حالة فردية) وإهمال مشكلة قتلى المواصلات العامة على الطرق (ويصل عددهم إلى عدة آلاف سنويا)، أو مشكلة الدروس الخصوصية (حالة عارضة) وإهمال مشكلة كيفية الارتقاء بمستوى التعليم (ظاهرة أساسية)، ومشكلة الغزو الثقافي (مفتعلة) وإهمال مشكلة ضعف الترجمة (وهى سبب رئيسي في ركود الحركة الثقافية). ومما هو ملاحظ أن الحوار حول مشكلة زائفة يكبر ويتعاظم لكنه يظل يدور في حلقات مفرغة، لأنه ببساطة لا يعالج مشكلة حقيقية، أي عقبة تقف في سبيل الفكر والسلوك الإنساني.

وفى مثل هذا النوع من الحوار، يقوم المحاور باستعراض عضلاته الثقافية إن صح التعبير، وكثيرًا ما يبتعد عن الموضوع، محلقًا في آفاق أخرى بعيدة، ومتحدثًا عن مجتمعات أخرى مختلفة، وتجارب لا تمت للواقع بصلة.. ولو تأمل القارئ حديثه جيدًا، بل لو تأمل هو نفسه حديثه لأدرك أنه لا يقدم شيئا ذا فائدة، والسبب بسيط للغاية، لأنه

يضيع وقته وجهده في محاولة حل لغز من صنع عقله، وليست له علاقة بالواقع.

وعلى العكس تمامًا من هذا الحوار العقيم، يوجد الحوار المنتج أي الذى يتناول مشكلة حقيقية، ويكون الهدف منه الوصول إلى حل محدد لها. في هذا النوع من الحوار، يجرى إلقاء الضوء على نشأة المشكلة، وتطورها، وأهم مظاهرها، ومدى خطورتها، تمهيدًا لاقتراح الحل أو الحلول المناسبة لها. وقد قال أسلافنا بحق إن "تحديد المشكلة يعد جزءًا من حلها"، لكن ذلك لا يحدث إلا إذا اشترك في مناقشتها عدد من المحاورين، الذين تدفعهم الرغبة الصادقة في التوصل إلى الحلول، من خلال حوار يكشف مختلف جوانب المشكلة، في لغة دقيقة وواضحة، وباستخدام مصطلحات محررة من الفوضى والغموض. إن المحاورين في مثل هذا العمل يكونون أشبه بالبنائين، الذين يعرف كل منهم دوره في تشييد البناية المتكاملة. ولا شك أن حوارًا كهذا لابد أن يخلو من الاستطراد والمهاترة، وأن يجرى في جو من الجدية والاحترام، حتى يصل إلى هدفه بكل سلاسة ويسر.

وإلى جانب كل من النوعين السابقين، يوجد نوع ثالث من الحوار، يمكن أن نطلق عليه حوار الاستكشاف، وهو الذى يسعى إلى تحديد المشكلة مثال ذلك حوار التمكين والتهكم لأرسطو، وليس بالضرورة

التوصل إلى حل لها، وذلك عندما تكون تلك المشكلة من الصعوبة والتعقيد والتشابك مع غيرها من المشكلات الأخرى.. حينئذ يتم حوار لمحاولة تفكيك المشكلة المعقدة إلى عناصرها البسيطة، وبيان علاقات التداخل والاتصال بينها وبين المشكلات الأخرى المرتبطة بها. ولنأخذ مثالاً على ذلك: مشكلة الإسكان، التي ترتبط بمشكلة العمل، ومشكلة البطالة، ومشكلة التضخم، ومشكلة الزواج.. الخ. ومن الواضح أن مثل هذا النوع من الحوار لا يتطلب فقط مجموعة متحاورين، بل مجموعات من سائر التخصصات، تكرس كل واحدة جهودها حول نقطة محددة، ثم يتبادل الجميع ما توصل إليه كل منهم.

ولا شك أن هذا الحوار يحتاج إلى إعداد جيد مسبقًا، وإلى إدارة حكيمة وحازمة، حتى تستطيع أن تنسق بين تلك "الحوارات"، وأن تجمع بينها أخيرًا في منظومة واحدة. وهنا لا يوجد مجال للمزايدة أو استعراض العضلات، وإنما المطلوب هو الاختصار والتحديد وبلورة المفاهيم وتحديد العلاقات في صيغ شبه رياضية، حتى تكون أساسًا جيدًا للتعامل معها والإفادة من معطياتها.

رابعا: شروط الحوار المنتج:

إن النتائج لا تأتى من فراغ، فإذا كنا نطمح إلى أن تكون حواراتنا منتجة، بمعنى أن تضعنا على طريق الفعل، فلا بد أن نتتبع نماذجها الجيدة، وأن نفحص أسباب نجاحها، كما ينبغي أن نرصد بكل دقة الشروط التي تساعد على هذا النجاح. ويمكن أن نسجل هنا أهم هذه الشروط فيما يلى:

١. توافر مرجعية يعترف بها كل من المتحاورين. وهذه المرجعية قد تكون قوانين العقل، أو مبادئ الدين، أو سلطة التقاليد، أو تحقيق المصلحة.

٢. وجود حكم يلتزم كل من المتحاورين بطاعة أوامره وتنفيذ ملاحظاته. ومن المعروف أن هذا الحكم هو الذى يقوم بدور التنظيم والفصل في أثناء المحاورة، وله الحق في إنهائها عندما تحيد عن أهدافها.

٣. إعطاء الفرص المتكافئة لكل الأطراف، سواء في الوقت المحدد للحديث، أو في إبداء الملاحظات والتعقيب.

٤. استغلال المحاور للوقت المخصص له، وعدم إضاعته في مقدمات غير ضرورية، أو استطراد غير مطلوب، وأن يتميز حديثه بالتركيز، وترتيب المعلومات، والتصريح بالنتيجة التي يريد الوصول إليها.

٥. ضرورة الإصغاء الكامل عندما يتحدث الطرف الآخر، وعدم ملاحقته بالموافقة، أو مقاطعته بالمخالفة. وهذا يعنى تسجيل الملاحظات عليه، وإبداءها عندما تعطى له الكلمة، فالإصغاء فن لأنك اذا أردت ان تكون متحدثا بارعا كن مصغيا ماهرا.

٦. احترام شخص المحاور، وعدم الإساءة إليه بألفاظ أو عبارات غير لائقة، وكذلك عدم الاستهزاء به حتى ولو بالتلميحات والنظرات !

٧. ٧-أن يكون لدى أطراف الحوار الاستعداد لسماع وجهات النظر الأخرى، والاعتراف بالحق عند ظهوره. ولا شك أن هذا الشرط يتطلب "شجاعة أدبية" ينبغي أن تكون من أخلاقيات المحاور الحقيقي.

فإذا أردنا بعد ذلك أن نتعرف على عناصر القوة وعوامل الضعف في الحوار، أمكننا خلال استعراض عشرات – ولا نقول مئات الحوارات – أن نستخلص أهم هذه العناصر والعوامل:

خامسا: عناصر القوة في الحوار:

١. الإلمام الجيد بجوانب المشكلة التي يدور الحوار حولها (نشأتها، تطورها، مظاهرها، مدى خطورتها).

٢. يمكن للاستشهاد بالنصوص الدينية، عندما يتعلق موضوع الحوار بذلك، أن يكون من أهم العناصر التي تقوى جانب المحاور، وتضعف من موقف المحاور الآخر.

٣. استخدام المعلومات التاريخية، بشرط الدقة في إبرازها، وأن تكون في موضعها تماما، أي أن يكون توظيفها من أجل تأكيد معلومة معينة، أو دحض معلومة أخرى لدى المحاور الآخر.

٤. الاستعانة بلغة الأرقام مما يضفى الكثير من المصداقية على حديث المحاور. وهنا أيضا لابد من التأكد من مصدرها، حتى لا ينهدم بناء المحاور، إذا ثبت عدم صحة رقم واحد مما استعان به.

٥. تطعيم الحديث بالحجج المنطقية، التي تتمثل أهميتها في سهولة تصديقها من المتابعين للحوار. وكلما اسخدمها المحاور بوضوح كانت أقوى تأثيرا.

٦. استمداد الأمثلة من الحياة الواقعية، لشرح وتفسير الحقائق العلمية والنظريات، حتى يكون الحوار حيا، وقريبا من أذهان المتابعين.

٧. استخدام اللغة المقنعة، وأعنى بها اللغة التي تتسم بالدقة والوضوح، مع الابتعاد عن الأساليب القديمة، والكلمات التي فقدت طزاجتها من كثرة الاستعمال.

٨. إجادة طرح الأسئلة والتساؤلات، فهي تعتبر دائما وسيلة من وسائل الهجوم، حتى لإنتاج للمحاور الآخر فرصة طرحها.

٩. عدم إهمال الإجابة على أي سؤال يطرحه المحاور الآخر، لكي لا تبقى ثغرات مفتوحة في الحوار.

١٠. وأخيرا كلما توافر لدى المحاور معلومات كافية عمن يحاوره كان في موقع أفضل، ولا يعنى هذا استخدام معلومات شخصية ضده أثناء المحاورة، وإنما الإشارة عند اللزوم لبعض أفكاره التي سبق أن أعلنها من قبل.

سادسا: مظاهر الضعف في الحوار:

١. الظهور بمظهر التردد والنسيان.

٢. محاولة تذكر المعلومات، أو الأسماء، أو الأرقام ما يؤدى إلى إملال المتابعين للحوار

٣. الخروج عن موضوع المحاضرة، بكثرة الاستطراد.

٤. حشو الحديث باللوازم الشخصية كالقَسَم، أو ألفاظ التفخيم (حضرتك، سيادتك.. إلخ).

٥. مقاطعة المحاور الآخر أو التشويش عليه أثناء حديثه.

٦. تعمد الإساءة الشخصية للمحاور الآخر.

٧. الانفعال والتلويح بالأيدي في وجه المحاور الآخر.

سابعا: كيف نعلم شبابنا الحوار ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال الهام، لابد أن نحسم الإجابة حول سؤال آخر يسبقه، وهو: هل الحوار موهبة أو اكتساب ؟

والواقع أننا نشهد العديد من المفكرين الذين برعوا في فن الحوار براعة فائقة، إلى درجة أن براعتهم لم تقتصر فقط على إعجاب المعاصرين لهم، وإنما استمرت لدى الأجيال اللاحقة. وحسبنا أن نشير في هذا الصدد إلى سقراط وأفلاطون وأرسطو من العصر الإغريقي، والأشعري وابن قتيبة وابن حزم في الثقافة الإسلامية، وشكسبير وفولتير وكانط من الثقافة الغربية. وهذه فقط مجرد أمثلة، لكننا إذا رحنا نتتبع سير هؤلاء المحاورين العظام وجدناهم يمتلكون مقدرة فريدة على تحليل الآراء ونقدها، والرد القوى المقنع على أصحابها. ويدهشك بالفعل أن الرأي قد يبدو قويا ومتماسكا ولكنه عندما يتم تناوله على قلم واحد من أمثال هؤلاء المحاورين الكبار تجده قد تهاوى، وسقطت حججه أمام القوة العقلية الهائلة التي يقابله بها. فإذا ما بحثنا أقوال هؤلاء المحاورين الكبار وجدنا أنهم عاشوا في عصور معينة، وأنهم تعرضوا لمثل ما تعرض له معاصروهم من المفكرين والمثقفين، وهذا يجعلنا نسرع إلى القول بأن القدرة على الحوار من المواهب التي تمنح للإنسان، وليست من الخبرات

التي يقوم باكتسابها، وإلا لكان كل من عاش في بيئة سقراط أو أفلاطون، ونهل من ثقافتهما أصبح على نفس مستواهما !

لكننا من ناحية أخرى نلاحظ أن البيئة الثقافية الواحدة لا تنتج دائما مثقفين متشابهين (وإلا لكان الأمر بشعا للغاية !)، وإنما تساعد أصحاب الاستعدادات المختلفة على تنمية قدراتهم، وتفجير طاقاتهم، كل بحسب ما هو مستعد له. فهناك المفكر الهادئ الذى لا يحب أن يدخل في أي معركة فكرية، وهناك المفكر الشجاع الذى يقبل التحدي على الفور حين يفرض عليه، كما أن هناك المفكر الجسور الذى يسعى بنفسه إلى مواطن الخلاف لكى يحركها، ويصبح طرفا فيها. وهكذا فإن البيئة الثقافية والفكرية تقوم بدور كبير في تهيئة الجو المناسب لظهور أصحاب القدرة على الحوار.

ثامنا: حوار المجتمعات:

اعتقد أنه بإمكاننا الآن، وبعد أن حاولنا بيان أسس الحوار الجيد داخل المجتمع، أن نتحدث عن حوار بين مجتمعين أو أكثر. ولكى ينجح مثل هذا الحوار، لابد أن يكون كل من المجتمعين راغبا في التعرف على المجتمع الآخر، وحريصا على تقوية علاقاته معه. لذلك فمن غير الممكن قيام حوار بين مجتمعين في حالة عداء، أو في حالة حرب (كما سبقت الإشارة). كذلك لا يمكن تصور قيام حوار بين المجتمعات بعيدا عن دائرة المصالح المشتركة بينهما، بل إن مثل هذا الحوار ينبغي أن يقوم بدور في تقريب هذه المصالح، وتوزيعها بعدالة على كلا الطرفين. أمر ثالث هام، وهو أن الحوار لا ينجح بمجرد البدء فيه، وإنما من خلال استمراره، وتعدد مستوياته، وتنوع مجالاته. والدليل على ذلك أننا قد شهدنا الكثير من الحوارات تفشل بسبب افتقادها العناصر التي تضمن استمرارها، ومن ذلك مثلا قيام حوار سياسي بين بلدين دون أن تدعما مصلحة اقتصادية، أو قيام حوار ثقافي دون أن يكون مدعوما بعلاقات اجتماعية أكثر اتساعا. وأخيرا فإن الحوار بين المجتمعات يتطلب قدرا من الندية، لا أقول من كل الجوانب، وإنما في الكثير منها. ونحن نعلم جيدا أن حوار الكبير مع الصغير يتحول إلى تلقين، وحوار الغنى مع الفقير يفضى إلى الصدقة، وحوار القوى مع الضعيف ينتهى بالسيطرة !

وقد شاع في الآونة الأخيرة مصطلحات "الحوار بين الحضارات، والحوار بين الثقافات، والحوار بين الأديان.. "وكلها مصطلحات جيدة لمسميات وهمية، لا وجود لها في الواقع. وحقيقة ما يحدث أن الأطراف الضعيفة هي التي تسعى إلى ذلك دون أن تكون هناك رغبة فعلية من الأطراف الأكثر قوة وهيمنة. لذلك فإن اجتماعات تعقد، وندوات تقام، تتحدث فيها أطراف مختلفة الثقافات والخصائص والأديان، كل عما لديه، ويستمع إليه الآخرون دون أن يدخلوا في حوار حقيقي، ثم تنفض الجلسات، ويعود كل طرف إلى مكانه، دون أن يكون قد تحققت نتيجة واحدة، اللهم إلا تعرف هؤلاء المجتمعين على بعضهم البعض، وقد كان من الممكن أن يحدث ذلك دون الدخول تحت مظلة الحوار المزعوم.

ليس معنى هذا أنى أهاجم هذا النوع من الحوار ولكنني فقط أنبه إلى قلة جدواه. وستظل ثمرته ضامرة طالما لم يقم على أسس واضحة، أهمها "تحقيق المصلحة" بين المجتمعات الراغبة في إقامة علاقات تعاون حقيقي فيما بينها.

تاسعا: شروط الحوار والجدال مع أهل الكتاب:

يتكون الحوار والجدال مع أهل الكتاب من ثلاثة أركان:

أولها: المحاور والمجادل المسلم.

ثانيها: المحاور والمجادل الكتابي.

ثالثها: موضوع الحوار والجدال.

وحتى يكون الجدال شرعياً لابد من النظر في شروط تلك الأركان.

شروط المحاور أوالمجادل المسلم:

شروط المحاور المسلم وما يلزم لها تابعة لكلمة الشهادة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» وفيها: الإخلاص والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم فمن كمل حظه منهما كملت فيه الشروط ومن انتقص منهما انتقص منها بقدر تفريطه فيهما.

الشرط الأول: الأهلية وإعطاء الإسلام حقه من النصرة والبيان.

والشرط الثاني: استقامة المسلم وتخلقه بأخلاق الإسلام.

الشرط الأول: الأهلية وإعطاء الإسلام حقه من النصرة والبيان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (... كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرةً تقطعُ دابرَهم لم يكن أعطى للإسلام حقَّهُ ولا وَفَى بموجب العلم والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين).

ويكمل هذا الشرط في المجادل على قدر تحقق بعض اللوازم فيه، ومنها:

اللازم الأول: العلم والعدل.

اللازم الثاني: معرفته بما ينكي وينجع في رد صيال الخصم وجداله.

اللازم الثالث: الصدع بالحق والجهر به.

الشرط الثاني: استقامة المسلم وتخلقه بأخلاق الإسلام.

وهذا المعنى متفق عليه والكلام فيه قد أشبع في كتب الحوار والجدل. ويدخل فيه الكلام عن آداب الحوار والجدال وهو من المتقرر أمره فلا نطيل بتأصيله والتدليل عليه.

تنبيه:

قد يعرض للمجادل المسلم أثناء رده مسألة تخطئة أعمال واجتهادات المسلمين إذا أوردها عليه الكتابي فما حكم ذلك في وقت

الحوار أوالرد ودفع الصيال؟! يجاب بالقول: إن جواز ذلك يشترط له أمور تدور مع قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ومن ذلك:

١. أن يكون الحرص على تأليف المسلمين بكلامه أولى من حرصه على تأليف الكفار به. وتأليف القلوب مقصد شرعي لا يفرط فيه.

٢. أن يكون وجه التخطئة لأعمال المسلمين صحيحاً من جهة النظر الشرعي.

وهذه الأعمال لا تخلومن حالين:

الحال الأول: أن تكون صحيحة شرعاً. فهذه لا يجوز ردها أوتأثيمها وهذا كمسائل إقامة الحدود وحكم الردة والختان والجهاد في سبيل الله وتعدد الزوجات وأحكام أهل الذمة والرق. وذلك لأنَّ عرضَها والدفاعَ عنها دفاعٌ عن الدين وبيان له. ويبقى على المجادل توخي أحسن وأنجع الأساليب في عرضها والدفاع عنها وهو مقام تتفاوت فيه المدارك.

الحال الثاني: ألا يقرها الشرع. وهذا الحال على درجتين:

الدرجة الأولى: أن يكون القول بها من الشذوذ أواتباع الهوى المحض.

الدرجة الثانية: أن تكون من محال الاجتهاد؛ والخلاف فيها سائغ أويكون العمل فيها بناءً على تقليد عالم.

شروط المحاور الكتابي:

ليس هناك شروطاً خاصة بالمحاور الكتابي في الشريعة سوى عدم الظلم والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ [سورة العنكبوت **٢٩/٤٦**]. فإنْ كان منهم فيخرج الجدال معه عن مسمى (الجدال بالتي هي أحسن)؛ وينتقل الخطاب معه إلى مجادلة بغير التي هي أحسن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (**فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن فمن كان ظالماً مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتي هي أحسن بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد أوكان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظن أنه حقاً ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله**).

(... والإمتناع عن الجدال مع الظالمين واتخاذه منهجاً مطرداً يخالف منهج النبي صلى الله عليه وسلم فقد جادل اليهود بالتي هي أحسن في المدينة وكانوا يكتمون ما أنزل الله ويلبسون الحق بالباطل؛ كما جادل نصارى نجران ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا ... فالأصل أن يقبل الجدال مع كل أحد لأن كل كافر ترجى هدايته. نعم قد تكون المصلحة في الامتناع عن مجادلة طائفة منهم أومع أفراد لسبب أولآخر وهذا استثناء...).

موضوعات الحوار أوالجدال مع أهل الكتاب:

موضوعات الحوار والجدال لها أهمية كبرى إذ إنها ركن من أركانه لا يتم إلا بها. وإنَّ الناظرَ في الكتاب والسنة يجد أنهما يدوران في مجادلة أهل الكتاب على محورين أساسين: التوحيد والنبوة[١]؛ وما يتعلق بهما من قضايا فتجد فيهما:

١. الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ٣/ ٦٤]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [سورة المائدة ٥/ ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ ﴿ [سورة المائدة ٥/ ٧٣]الآية.

---

[١] منهج الجدل والمناظرة (١/ ٤٨٦-٥٠٥).

٢. الأمر بالإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول إلى العالم أجمع وهم داخلون تحت عموم رسالته. كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [سورة المائدة ٥/١٩]. وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٤٦].

٣. إثبات القرآن لنسخ أديانهم وتحريف كتبهم وبطلانها و وجوب إيمانهم بالقرآن. قال تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٧٥]. وقال: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [سورة المائدة ٥/٤٨] الآية.

٤ . الرد على شبهاتهم وافتراءاتهم ونهيهم عن الغلوفي الدين. وهذا كثير في القرآن والسنة.

والأصل في مواضيع الجدال معهم ما يلي:

أولاً: كل موضوع يخدم الأهداف التي شرعها الله في مجادلة أهل الكتاب فهو مطلوب وذلك مثل: دعوتهم للإسلام وبيان ما هم عليه من الباطل ورد شبهاتهم وطعنهم في الإسلام وتثبيت المؤمنين بإظهار علو حجة الإسلام وتحقيق مصالح مشروعة للمسلمين عبر الحوار معهم مثل: تحييد بعضهم والضغط عليهم وكشف مؤامراتهم وفضح طرقهم في التنصير ونحو ذلك.

ثانياً: كل موضوع يخدم أهدافاً نهى الله عنها فهو ممنوع وذلك مثل: موالاة الكفار ومودتهم؛ أوالتقارب معهم؛ أوالتنازل عن شيء من دين الإسلام كإلغاء الجهاد أوتحوير معناه أوالتنصل من أحكام أهل الذمة أوإبطال الرق؛ ونحوذلك.

ثالثاً: إذا كان الموضوع من الاصطلاحات والألفاظ الحادثة التي ربما جمعت حقاً وباطلاً أوكانت باطلاً ولكنها مشتبهة. ففي هذا تفصيل يقوم على أمور منها:

١-معرفة أقسام الناس في موافقة ألفاظ ومعاني الكتاب والسنة.

الناس في موافقة نصوص الكتاب والسنة على أقسام:

أحدها: من يوافقها لفظاً ومعنى. وهؤلاء أسعد الناس بالحق.

الثاني: من يوافقها في المعنى دون اللفظ. وفيه تفصيل.

الثالث: من يوافق النصوص في اللفظ دون المعنى. وهذا مثل استخدام الباطنية وأشياعهم لألفاظ الشرع للدلالة على معانٍ فاسدة خارجة عن حد الإسلام كاستعمالهم لألفاظ: الصلاة والصيام والحج. ومنه استعمال العصرانيين وأشياعهم للفظ (الكلمة السواء) في غير ما أنزله الله تعالى.

الرابع: مخالفة ألفاظ الكتاب والسنة لفظاً ومعنى. وهؤلاء أشقى الطوائف.

وينبغي على المرء أن ينظر حين يستخدم تلك المصطلحات الحادثة هو في أي قسم منها.

٢-العلم بملابسات نشأتها وتأريخها وطرائق ودرجات استعمال المخالف لها.

العلم بنشأة هذه المصطلحات (التسامح والتعايش والحوار وغيرها) وتأريخها مما يعين على استبانة الحق فيها.

٣- وزنها بوزن السلف الصالح في الاصطلاحات الحادثة.

يتميز السلف الصالح ومن يسير على أثرهم بأنهم ينهون عن: (إطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ولا قصور أو تقصير في بيان الحق ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل ففي إثباتها حق وباطل وفي نفيها حق وباطل فيمنع من كلا الإطلاقين بخلاف النصوص الإلهية فإنها فرقان فرق الله به بين الحق والباطل ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه..).

والأصل في (الاصطلاحات الحادثة) أن توزن بوزنهم في مثلها وأخواتها من الألفاظ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... فإذا عرفت المعاني المقصودة بهذه العبارات و وزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة وينفى الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة

كان ذلك هو الحق بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً في الوسائل والمسائل: من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو من الصراط المستقيم وهذا من **مثارات الشبه**).

٤-تحرير محل الإجمال والإيهام في تلك الألفاظ والمصطلحات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فعليك بالتفصيل والتمييز فالإطلاق والإجمال دون بيان قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الأذهان والآراء كل زمان).

فإطلاق الأقوال المجملة والمعاني المشتبهة يثير النزاع بين المتخاصمين أمَّا التفصيل والبيان فهو إمَّا أن يرفع النزاع أو يقلله ولهذا كان كثير (.. **من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن يعرف دليله ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً بل يكون في قوله نوع من الصواب وقد يكون هذا مصيباً من وجه وهذا مصيباً من وجه وقد يكون الصواب في قول ثالث**..)).

الفصل الثاني
تحديات الحوار

الحوار بين الأديان حقيقة وعقباته:

الحوار بين الأديان مصطلح جميل ومريح.. وقد أطلقه الغرب، وروجت له الولايات المتحدة الأمريكية في ظل حملتها إلى العولمة، وراحت الدول النامية، المسكينة والواقعة تحت الضغط تسعى للقبول به، فعقدت له ندوات، وحشدت حوله مؤتمرات لم يخرج واحد منها حتى اليوم بنتيجة واحدة محددة وملموسة على أرض الواقع.. لماذا ؟ لأن الذين يسبحون في مياهه لن يجدوا سمكة واحدة، والسبب في ذلك أنهم يحاولون الصيد في حمام سباحة، وليس في بحر مفتوح أو نهر طبيعي.. ومعلوم أن حمام السباحة يكون خاليا من السمك، والمياه التي به صافية جدا، بحيث لا يمكنك إذا نظرت فيها أن ترى سوى بلاط القاع !

أترك التشبيهات البلاغية، وأعود لحقيقة الموضوع، وهو:

- أن الأديان الموجودة في العالم تنقسم إلى قسمين.. أحدهما أديان سماوية، أي منزلة من الله تعالى على رسل معينين، مثل اليهودية على موسى، والمسيحية على عيسى، والإسلام على محمد، عليهم جميعا الصلاة والسلام، والقسم الثاني أديان وضعية أي من صنع البشر

أنفسهم مثل الكونفوشوسيه التي صاغها كونفوشيوس، والبوذية التي أنشأها بوذا. وهنا لا يمكن بحال من الأحوال أن نتحاور حول دين أنزله الله تعالى للبشر، وبين دين آخر ابتدعه أحد البشر، ثم اعتنقه عدد كبير من الناس ولكن هنالك مدخل اخر للتفكر المتبادل وليس بغاية ترك دين واعتناق اخر، وهو ان هنالك بعد قيمي تتقارب فيه الاديان السماوية مع الوضعية.

- أما الحقيقة الثانية، فتتمثل في أن كل دين سواء كان سماويا أو وضعيا، له أتباعه الذى يؤمنون به، ليس عن طريق العقل وحده، وإنما كذلك بواسطة القلب والروح والوجدان.. ومن أصعب الأمور، بل يكاد يكون من المستحيل التحاور بالعقل مع اتباع الأديان الذين استقرت عقائدهم من خلال هذه المناطق الثلاث، كذلك فإن اتباع تلك الأديان، منهم القادة أي العلماء الذين يحرسون الدين، ويدافعون عنه، ويعملون بكل الطرق على تقويته في نفوس الاتباع، لكى يبقى ويستمر، بل يزيد وينتشر. والواقع أن هؤلاء القادة بعضهم صادق ومخلص في التمسك بدينه والدفاع عنه، لكن بعضهم الآخر حريص على صيانة مكتسباته المادية والاجتماعية التي يحصل عليها من

موقعه! والمهم أن كلا النوعين غير مستعد على الإطلاق إلى الدخول في حوار موضوعي مع علماء الأديان الأخرى، لأن مثل هذا الحوار قد يؤدى إلى خلخلة الأوضاع المستقرة، وبالتالي إلى الإطاحة بمواقع القيادة، أو ضخامة المكتسبات !

- وحقيقة ثالثة تكمن في أن كل الأديان الموجودة حاليا في العالم تحتوى على جزء جوهري كان وما يزال هو حقيقة الدين الأصلي، وجزء آخر تم إلحاقه به على مدى العصور من واقع آراء البشر، وأفكارهم الخاصة، ولا شك أن الإقدام الحقيقي على الحوار سوف يتطلب في البداية ضرورة التفرقة بين جوهر الدين، والإضافات التي لحقت به، وهذا عمل صعب جدا على نفوس القادة الذين يروجون للدين بهذين الجانبين معاً، كون الغالب على المتألهين للاديان الرؤية الضيقة لاحتكارية افضلية دين دون آخر.
- تبقى الحقيقة الرابعة، وهى عقبة لا حل لها، فإن كل دين يحتوى على تشريعاته الخاصة، التي تحدد لأتباعه مناطق الحلال والحرام، وتضع الحدود الفاصلة بينهما، والأديان الموجودة في العالم بدون استثناء

يحلل بعضها ما يحرمه الآخر، فكيف نصل من خلال الحوار بين الأديان إلى تحليل محرم، أو تحريم حلال ؟!

وأخيرا، فليس معنى وجود هذه "الحقائق – العقبات" في مجال الحوار بين الأديان بمانعة من "التعايش" بين أتباعها، فلكل إنسان في الوجود حق اعتناق الدين الذى يقتنع به، وإنما عليه في نفس الوقت أن يسمح لغيره بهذا الحق. والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله "لكم دينكم ولى دين" وبقوله " فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر "

أما الذين يسعون إلى أن يجعلوا الناس كلهم على عقيدة واحدة فهم واهمون ومخطئون.. فالقرآن الكريم يقول "ولا يزالون مختلفين" لكنه يقول أيضا "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" وهذا هو الخيط الأبيض الذى يخرجنا من ظلمة ذلك النفق.. فنحن مختلفون في أشكالنا وقومياتنا وأدياننا، ولكننا مطالبون جميعا أن نتعارف. والتعارف يعنى الفهم. والفهم يؤدى إلى التسامح، ومن ثم على التعايش الذى هو إحدى أهم الغايات من وجود البشر على كوكب الأرض ولكن بالمحصلة يمكن إجمال ان التعايش يكون بين ثلاث اشكال.

أشكال العلاقة بين الأديان

"الحوار بين الأديان" اسم عام يطلق على كل مخاطبة ومحاورة تتم بين طرفين أو أكثر من أهل الأديان والمؤمنين بها. فكلمة "حوار" كلمة عامة تشمل كل ما يقع عليه معنى التجاوب والتراجع والتخاطب. ولا شك أن مطلق الكلام لا يصح الحكم عليه دون معرفة خصائصه المميزة.

الحوار من المصطلحات المجملة التي تحمل معنى حقاً ومعنى باطلاً فلا يصح الحكم عليه وهو بهذه الحالة من الإجمال والإبهام؛ بل لابد من الاستفصال عن المعنى المراد بدقة ثم النظر بعد ذلك في حكمه في ضوء النص الشرعي. ومن خلال التتبع لأحوال الحوارات المتعددة بين الأديان تبيّن أنها على أنواع مختلفة، ولكل نوعٍ خصائصه المحدَّدة له والمميزة له عن غيره، مع أن جميع الأنواع يصح إطلاق اسم "الحوار بين الأديان" عليها. وعليه، فلابد من توضيح نوع الحوارات المجملة والاستفصال عنها ومعرفة أهدافها وخصائصها قبل الخوض فيها أو الحكم عليها.

أولاً: حوار الدعوة:

المقصود به في المفهوم الإسلامي: الحوار مع أتباع الأديان الأخرى لبيان صحة هذا الدين، وانه ناسخ لكل الأديان السابقة، وإيضاح صحة نبوة محمد ﷺ. ومحاسن الإسلام العظيمة، وبيان ما هم عليه من الباطل المنحرف. وهذا الحوار مطلوب شرعا. تدل عليه كل الآيات والأحاديث الدالة على فضيلة الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل.

وهو موجود تمارسه جمعيات ومراكز. وجهات متعددة، وأفراد كثيرون ولكن لا يسمى في الاصطلاح باسم الحوار بين الأديان، فهو داخل في عموم اللفظ العام دون مدلوله الاصطلاحي الخاص وشعاره المعروف.

أما الحوار التبشيري عند النصارى الذي تمارسه الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي وغيرها فهو اتخاذ الحوار وسيلة للتنصير، وذريعة لتشكيك المسلمين في دينهم ونبيهم، وطريقاً مخادعاً لأخذ الشهادة والإقرار والموافقة بصحة دينهم وانه دين معتبر حتى بعد دخول التحريف فيه، كما في مؤتمر طرابلس عام **١٩٧٦** ومن نتائجه رفض الجانب النصراني ما طلبه الجانب الإسلامي من وضع حد للنشاط

التنصيري في الدول والأقليات الاسلامية ومؤتمر قرطبة عام **١٩٧٧** تحت شعار (قيمة محمد نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم واسفر عن تنازل النصارى ورضوا باعتبار محمد صلى الله عليه وسلم نبيا من الدرجة الثانية وليس نبيا رسولا لا كباقي الانبياء وطبعا ليس كعيسى لان عيسى بوصفهم آله، والملاحظ ان اغلب الحوارات والمؤتمرات التي تكون حول مسائل العقيدة بين الاسلام وغيره كما ان المناقشات التي تدور حول التهجم على الاسلام والانتقاص منه ويعقبها اصدار توصيات تهدف الى عزل الاسلام عن حركة الحياة بدعوى غير الملائمة او الجمود او التطوير والتجديد وغيرها من الكلمات المسموعة.:

ثانياً: حوار التعايش:

المقصود بحوار التعايش هو: الحوار الذي "يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما تكون أقليات دينيّة، ويُعنى بالقضايا المجتمعيّة كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجّرين، واللاجئين ونحو ذلك، ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوروبي)، و (حوار الشمال والجنوب)". وقد يسمي

البعض هذا النوع (التسامح). وهذا التعريف هو لمعنى التعايش بالمفهوم العام الذي يؤخذ من دلالة الكلمة دون ارتباطات بالمفاهيم اللاحقة.

هذا المفهوم العام لا يزيد على حسن المعاملة، والعيش بصورة ملائمة بين كافة المجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي.

التعايش بهذا المعنى بين اتباع الأديان المختلفة لا يرفضه الإسلام، ويدل عليه معنى البر والإحسان والقسط الوارد في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.

ولهذا المفهوم ثلاثة ضوابط:

أولاً: مراعاة الولاء والبراء، فلا تلازم بين الإحسان والعيش الكريم والتسامح في المعاملة وبين الموالاة للكفار. أو ترك البراءة منهم، فالولاء والبراءة أصل شرعي دلت عليه نصوص شرعية كثيرة.

ثانياً: إقامة العدل، والإنصاف مع كل الناس، فالعدل أساس عظيم في نماء المجتمعات واستقرارها.

ثالثاً: التزام الحكمة في المعاملة، وهي وضع الأمر في موضعه ومقامه الصحيح ألائق به. الموافق للمنهج الرباني. ولطبيعة النفس الإنسانية.

لكن هذه الكلمة (التعايش والتسامح) أخذت بُعداً آخر غير المفهوم العام السابق وذلك عندما رفعه العالم الغربي كشعار مع العرب والمسلمين بعد حرب **٦** أكتوبر (**١**رمضان عام **١٩٧٣**م) وما تلاها من المقاطعة العربية في **١٧** أكتوبر بقرار من وزراء النفط العرب في الكويت الذي يقضي بفرض الحصار النفطي على أميركا وتخفيض مستوى الضخ حتى يتحقق الجلاء عن الأراضي العربية وتؤمن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

فرفع الغرب هذا الشعار لتهدئة الوضع ووقف القتال وتخفيف حدة الضغوط العربية إلى حين ترتيب أوراقه وإعادة تنظيم أهدافه الإستراتيجية وقد تم ذلك وأصبح واضحاً للعيان أن حوار التعايش والتسامح ما هو إلا شعار لأهداف سياسية بحتة لا سيما بعد السيطرة الأمريكية على الخليج ومنافذ البلاد العربية والإسلامية بعد حرب العراق المسماة (ام المعارك) وعندما وقعت أحداث **١١** سبتمبر وهاجت

أمريكا ورفعت شعار (الحرب على الإرهاب) عاد العرب والمسلمين لرفع شعار التعايش والتسامح بنفس المفهوم الغربي السابق الذي رفع إبان حرب ٦ أكتوبر وتداعياتها.

لقد أصبحت فكرة (التعايش والتسامح) دعوة فكرية تحمل في طياتها مضامين فكرية وثقافية وحضارية واجتماعية. وقد تبنى هذه الفكرة ونظر لها من الطرف الإسلامي "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" (ايسسكو)

خصائصه:

سبق في التعريف أن التعايش له مفهومين متغايرات، أحدهما مأخوذ من المفهوم العام للكلمة والآخر مأخوذ من شعار خاص رفع في فترة من الفترات لأهداف سياسية ثم تطور إلى أن أصبح فكراً منظماً تقوم على تصديره بعض المؤسسات الكبرى (اليونسكو - والايسسكو) ثم عاد ليصبح شعاراً سياسياً للتخفيف من هيجان العالم الغربي بسبب أحداث ١١سبتمبر بنفس المضامين الفكرية. وبناءً على هذا فلابد من تمييز خصائص النوع الأول عن النوع الثاني ثم بيان الحكم في كل واحدة

على حدة. فخصائص (حوار التعايش)بالمفهوم الأول المميز له عن غيره هو:

١. أنه حوار يتعلق بالامور الدنيوية البحتة.

٢. أنه يقتصر على العلاقة في الامور الحياتية والعلمية والاقتصادية التي تفرضها طبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الفطرية.

٣. أنه لا يتضمن محبةً أو ولاءً أو اعترافاً بصحة دين الآخر أو تزكيةً له أو مدحاً بل هو قاصر على الأمور الدنيويّة وفي حدود الحاجة.

٤. أن لا يتضمن شيئاً من التنازل عن أمر من أمور الدين بحجة الترغيب لهم في الدخول في الإسلام أو أعطاء صورة حسنة عن الإسلام أو بأي تعليل آخر.

خصائص التعايش بالمفهوم المعاصر:

أعطي مصطلح (التعايش) بعداً آخر غير ما مضى من التوصيف وأخذ مفهوم التعايش بعداً فكرياً جديداً وهو بهذا المعنى يندرج تحت التقارب.

حوار التعايش يكون في العادة بين الدول التي تمارس الحياة العملية بحكم الاتصال المادي بينها ولا مجال له بين الأديان إلا من هذه

الزاوية وإنما ذكرناه في موضوع أنواع الحوار بين الأديان لأنه يدخل في العنوان العام بسبب عمومية لفظة (الحوار) ولأن البعض يخلط بينه وبين حوار التقارب ولأنه على الضد من الصراع والذي هو احد شقي العنوان.

إن حوار التعايش أخذ مدلولاً آخر غير ما سبق ذكره في الخصائص العامة ليكون بذلك فكراً جديداً له خصائصه الفكرية المختلفة عن ما سبق ذكره. ويمكن تلخيص تلك الخصائص في النقاط التالية:

١. القول بحرية التدين وإنكار حد الردة في الإسلام بوصفه معارضاً لحرية اختيار الإنسان للدين الذي يقتنع به، وجعل القاسم المشترك بين كل الأديان البيان العالمي لحقوق الإنسان.
٢. منع كل ألوان الاعتداء على الآخر وإنكار الحرب باسم الدين وتفسير الجهاد في الإسلام بأنه للدفاع عن النفس وإنكار جهاد الطلب.
٣. منع الكراهة الدينية و الدعوة للإخاء الإنساني.
٤. المطالبة بالحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية والتعامل معهم على أساس الوحدة الوطنية وليس على أساس المعتقد

الديني، واقتراح الغرب الحل العلماني كأفضل حل لمشكلة الأقليات وان كان هذا لا يراه كل من يرى الحوار بهذا المفهوم.

٥. الإقرار بالأديان السماوية جميعاً وتفسير هيمنة الإسلام عليها بأنه (مراقب) عليها فهو يرصد ما تتعرض له الديانات من انحراف عن الحق.

٦. الاجتماع على تقوية الصلة بالله في النفوس، خاصة بعد طغيان المادية وتفشي قيمها المسيطرة على الشباب في العالم.

٧. البعد عن العنف والإرهاب والتطرف الديني والتكفير والتدخل في خصوصيات الآخر الدينية وأن كل هذا مناف للاحترام الديني الذي يجب أن يكون بديلاً عن كل القيم السابقة.

ثالثا: حوار وحدة الأديان:

يعرف بانه: "الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينيّة، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة". ومن أبرز المنظرين لها في الوقت الحاضر "روجيه جارودي" تحت غطاء "الإبراهيميَّة". فهو يدعو للوحدة من منطلق إنساني فهو يسعى لوحدة الأديان الإنسانية ولكنه يرى أن المرحلة الأولى تبدأ بوحدة أديان الملل السماوية الثلاث، تحت

مسمَّى (الإبراهيمية)، فجارودي كان الرجل الثاني في الحزب الاشتراكي الفرنسي بعد الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

خصائصه:

وأبرز الخصائص الفكرية لهذا النوع من الحوار ما يلي:

١. ما ذكر ويذكر من خصائص لحوار التقارب.

٢. اعتقاد صحة عقائد الأديان الأخرى وعباداتها، وأنها طرق موصلة إلى الله.

٣. اعتبار الخصائص المميزة بين الأديان ظواهر وتقاليد تاريخيّة لشعب معين أو حقبة زمنية معينة أو اعتبارها أنواعاً مختلفة توصل إلى حقيقة واحدة ولا معنى من الاعتماد عليها.

٤. العمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعباداتهم ومساجدهم مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى. ومن ذلك.

- الدعوة إلى طباعة المصحف الشريف والتوراة والإنجيل في كتاب واحد بين دفتين.
- بناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجداً وكنيسة وكنيساً.

- تبادل الزيارات بين عمار المساجد ومرتادي المعابد مما يزيل الجفوة ويولد المودة.
- إقامة الصلوات المشتركة في أماكن العبادة لمختلف الأديان سواء بابتداع صلاة يشترك فيها الجميع أو بأن يصلي كل واحد صلاة الآخر وغيرها من الشعائر التعبديّة.

رابعاً: حوار توحيد الأديان:

توحيد الأديان يقصد به "دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها وينخرطون في الدين الملفق الجديد". والفرق بين هذا النوع والنوع السابق (وحدة الأديان) هو أن:

حوار توحيد الأديان: عبارة عن دين جديد مخلوط من عناصر الأديان مع الترك والخروج من الدين القديم والدخول في هذا الخليط الجديد.

أما النوع السابق: فلا زال كل واحد على دينه القديم لكن كل دين فهو صواب يوصل إلى المقصود مع إبداع إطار عام يبرر توجهات

الأديان جميعاً. وأن الخلاف بينهما مثل الاختلاف بين الآراء الاجتهادية الصحيحة في الدين الواحد.

خصائصه:

يميز علماء الأديان بين نوعين من أنواع الاندماج والتوحّد وهما:

١. الالتقاطية: وهي عملية دمج عناصر من الأديان دون إيجاد نسق منهجي بينها، ويُمثل لهذا النوع بالديانة "المونية" التي اخترعها المتنبي الكوري الشمالي (صن مون).

٢. التلفيقيّة: وهي عملية دمج بين عناصر من الأديان مع محاولة إيجاد نسق منهجي يربط بينها، ويمكن التمثيل بمحاولة الأب الأسباني (إيميليو غاليندور آغيلار) ومجموعته المسماة "كريسلام".

الفصل الثالث
آفاق الحوار بين الأديان

أولا: العولمة الثقافية

تعريف العولمة لغة

قبل أن اعرف العولمة الثقافية تعريفا مركبا لا بد أن أعرف كلا من العولمة والثقافة لغة واصطلاحا.

اذ يواجه أغلب الباحثين في مفهوم العولمة بعض المصاعب في تحديد المعنى الدقيق للعولمة في اللغة، فهي من المصطلحات المعربة التي دخلت إلى لغتنا، ولكي نتوصل الى معناها الدقيق لا بد من الرجوع الى من أطلق هذا المصطلح، وبالرجوع إلى قاموس وبسترز "websters" نجد أن تعريف العولمة Globalization هو: إكساب الشيء طابع العالمية.

ويفترض الدكتور عبد الصبور شاهين للعولمة فعلا هو: عَوْلَمَ يُعَوْلِمُ عَوْلَمَةً وذلك بالتوليد القياسي من المصدر الصناعي (عَولمية) وأما صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنها تستعمل للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل، وسواء كان للعولمة توليد قياسي كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين وان لم يكن فان مسيري النظام العولمي أرادوا لهذا المصطلح أن

يكون فضفاضا متغيرا غير محدود، والى ذلك أشار قاموس إكسفورد للكلمات الإنجليزية الجديدة إلى مفهوم العولمة للمرة الأولى عام **١٩٩١**م ووصفه بأنه من الكلمات الجديدة التي ظهرت خلال التسعينات.

فالمؤسسات الغربية لم تستقر على تعريف موحد، أو أنها لا تريد ذلك أصلا مع أنها تقدم تحديدات لأهداف النظام العالمي الجديد الذي تعد العولمة وسيلة تطبيقه، وقد أحس بهذا الغموض والتضليل بعض الكتاب الغربيين، فقد كتب بعضهم (نظرا لشعبية مصطلح العولمة، يجب ألا يفاجئنا عدم وضوحه في جميع الأحوال أو ما هو رد الفعل الذي تشكل ضده).

وكان من المفترض على أصحاب القاموس أن يحددوا أبعاد هذا المصطلح، ليتضح للجميع ويكونوا على دراية تامة في معرفة المعنى اللغوي الدقيق للعولمة.

والذي يبدو للباحث أن هذه اللفظة التي لاكتها الألسن في العقود الأخيرة وطحنتها رحى الكتاب والمفكرين والباحثين المؤيدين منهم للعولمة والمعرضين يتفقون معي أن العولمة وضع الشيء على مستوى العالم.

تعريف العولمة اصطلاحا

أرى من الضروري أن أعرض عددا غير قليل من التعريفات للعولمة، وذلك لاختلاف أنواعها، واختلاف الناظرين فيها بين مؤيد لها ورافض، واختلاف مفهومها بين الباحثين، لذلك سأذكر لكل فريق التعريف الذي يميل إليه.

تعريف الاقتصاديين

يعرف الاقتصاديون العولمة بأنها (حركة تستهدف تحطيم الحدود الجغرافية والحركية، وتسهيل نقل الرأسمالية عبر العالم كسوق كونية).

تعريف السياسيين

يذهب السياسيون إلى تعريف العولمة بقولهم: (التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد، أو دول معينة، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية).

والملاحظ على كل تعريف أنه أخذ الجانب الذي تنتمي له العولمة وتسعى إلى تحقيقه، ولكي نستوعب معنى العولمة لا بد أن أذكر تعريفات اصطلاحية لمجموعة من المفكرين والباحثين المؤيدين والمعارضين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم.

تعريف المعارضين

يعرف كثير من الكتاب والمفكرين المعارضين للعولمة بقولهم: (توجه ودعوة تهدف إلى صياغة حياة الناس لدى جميع الأمم ومختلف الدول وفق أساليب ومناهج موحدة بين البشر، وإضعاف الأساليب والمناهج الخاصة).

ويلاحظ من خلال هذا التعريف انه حاول أن يسلط الضوء على معنى الهيمنة والإخضاع عند المنتقدين للعولمة بناء على اتجاهاتهم الثقافية التي يؤمنون بها ويسعون جاهدين على الحفاظ عليها.

تعريف المؤيدين

يعرف بعض المؤيدين للعولمة (دمج سكان العالم اقتصاديا وثقافيا وسياسيا في مجتمع عالمي واحد بحيث يصبح كل من على كوكب الأرض جيرانا في عالم واحد).

وقد ركز هذا التعريف على الجانب الذي تطمح العولمة أن تحققه من خلال برنامجها الذي تحاول فرضه على العالم.

والذي يبدو للباحث بعد عرض التعريفات اللغوية والاصطلاحية مع اختلاف أنواعها واتجاهاتها أرى أن تعرف العولمة (فرض الهيمنة الغربية على المجتمعات والشعوب بالمناهج المدروسة والوسائل

المشروعة وغير المشروعة بأساليب الحداثة المعاصرة وتمريرها على العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا).

فالحقيقة التي لا ريب فيها أن العولمة تشمل مضامين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية، وقد فرضت نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسيا واقتصاديا، فكريا وعلميا، وثقافيا وإعلاميا، وتربويا وتعليميا، ولأصحابها وسائل متنوعة لتصدرها للعالم.

الألفاظ ذات الصلة بالعولمة

من الألفاظ القريبة من العولمة: الكونية نسبة إلى الكون، الكوكبية: نسبة إلى كوكب الأرض، الكلَوية: نسبة إلى الكل، أي جميع الناس على هذه الأرض، العالمية: نسبة إلى العالم.

تعريف الثقافة لغة واصطلاحا

تعريف الثقافة لغة

يرد تعريف الثقافة في اللغة على معان عدة منها أخذ العلم وفهمه، وفعله ثَقِفَ إذا لزم، وثَقِفْتُ الشيء وهو سرعة تعلمه، وقلب ثَقْفٌ أي سريع التعلم والتفهم.

كما ترد الثقافة في القرآن الكريم بمعنى الأخذ والظفر قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ (حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا)، ، أي (فإما تصادفنهم وتظفرن بهم)، ومن هنا نتوصل إلى أن الثقافة في اللغة تستعمل معنويا وحسيا، إلا أن استعمالها معنويا أكثر منه حسيا.

تعريف الثقافة اصطلاحا

لم أعثر على تعريف اصطلاحي للثقافة عند علمائنا الأقدمين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المفردة لم تكن شائعة في ذلك الوقت، كما يجد كل باحث في عالم الثقافة كمَا هائلا من التعريفات في العصر الحديث، وعلى الرغم من كثرة هذه التعريفات إلا أن هناك توافقا إلى حد كبير بين المعرفين على إدخال العقائد، والأخلاق، والعلوم، والقيم الإنسانية ضمن معنى الثقافة.

فهي تضم مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وأنها تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة والإنتاج الاقتصادي كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، ولكون الثقافة تحمل أكثر من معنى

سأذكر هنا أكثر من تعريف للثقافة لأحاول استيعاب معانيها.

١. عرفها المجمع اللغوي بأنها (جملة العلوم والمعارف التي يُطلب الحذق بها).

٢. وعرفها أهل التربية بقولهم: (مجموعة الأفكار والمثل والتقاليد والعادات والمهارات وطريقة التفكير وأساليب الحياة والنظام الأسري وتراث الماضي، ووسائل الانتقال والاتصال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد).

٣. وعرفها بعض العلماء الأمريكيين بأنها (كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر البيئة الاجتماعية)، وعرفها آخر بقوله عنها: (تهذيب العقل، أو تهذيب الإنسان)، وعرفها آخر بقوله: (الكل المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد، وكل الإمكانات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع).

والمتأمل في هذه التعريفات وغيرها من التعريفات يجد أن البعض اقتصر في تعريفه على الجانب العقلي، ومال بعضهم في تعريفاتهم إلى الجوانب الموروثة والتقاليد ونظام الأسرة كما هو واضح في تعريف أصحاب التربية.

تعريف العولمة الثقافية تعريفا مركبا

العولمة الثقافية لا تخرج في حقيقتها عن محاولة لتذويب الثقافات والحضارات، وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح حضارة الغالب، والمجتمع الإسلامي يعد أول المستهدفين، لأن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة وبروز شخصيتها الحضارية، والثقافة ليست مفصولة عن الدين، بل هو الركيزة الأساسية لها ولا يمكن لها أن تقوم بغيره، وأي استهداف لهذه الثقافة إنما هو استهداف للدين الإسلامي.

وقد عرفت العولمة الثقافية بتعريفات كثيرة أذكر منها(تلك الجهود المبذولة من أجل فرض منظومة ثقافية معينة لمجتمع معين على كافة المجتمعات البشرية بوسائل وأساليب مختلفة)، والملاحظ على التعريف رغم إحاطته بأغلب الجوانب للعولمة الثقافية أنه أغفل الجهة التي تصدر هذه العولمة.

وعرفها آخر بأنها (هي محاولة تعميم أفكار ومفاهيم ومبادئ ونظم وقيم ومعتقدات، وأنماط من السلوك والعادات، وطرائق المعيشة الغربية الأمريكية وإعطائها صبغة العالمية، ثم محاولة إحلالها بل وفرضها على حساب الأفكار والثقافات والقيم والمبادئ والأخلاق والأنماط السلوكية والمعيشية الخاصة بالمجتمعات الأخرى، لاسيما المجتمعات الإسلامية)، والملاحظ على التعريف رغم استيعابه أغلب أجزاء العولمة

الثقافية، أنه لم يذكر الوسائل والأساليب التي تتعكز عليها العولمة الثقافية لكي تتسلط بواسطتها على جميع المجتمعات.

ومن خلال التعريفين السابقين يمكن للباحث أن يعرف العولمة الثقافية بأنها (محاولة فرض الثقافة الغربية الأمريكية، على جميع المجتمعات وبخاصة الإسلامية منها، بالوسائل المشروعة وغير المشروعة وأساليب الحداثة الخداعة).

ومن هذا التعريف يبين الباحث أن العولمة الثقافية لا تزال في مرحلة محاولة الفرض، وليست قدرا نافذا لا سبيل للخلاص منه، بل إن الثقافة الإسلامية تتمتع بمميزات كما سنبين لاحقا ما يجعلها تواجه هذه العولمة وتقف سدا منيعا بوجه سيولها الجارفة، ويبين الباحث هوية العولمة الثقافية وهي غربية أمريكية بامتياز، لأن أمريكا أصبحت في العقود الأخيرة القطب الأوحد، وهي التي تسير الغرب، وتحاول أن تبسط سيطرتها على العالم بأجمعه والمجتمعات على اختلافها، والإسلامية منها على وجه الخصوص، ولا بد لهذه العولمة من وسائل وأساليب متنوعة تتناسب مع ما يطمح إليه مسيرو العولمة، وعليه تعد العولمة الثقافية شكل من اشكال الحوار بما تفرضه من دمج وتجاوز الثقافات الاقليمية المحدودة والمحصورة ببلد دون آخر وهي بذلك تحاول اذابة حصون التقاليد والقيم والاديان بحجة العالمية ومركزيتها، كما يمكن ان تكون الشكل النهائي للحوار بين الاديان بوصفها النتيجة النهائية التي

تهدف اليها مراكز الحوار العالمي، فبعد ان استحال على المنصرين ان يجدوا ذلك القبول المباشر لعقيدة التثليث والابراهيمية العالمية او ان يتصلوا بالناس بصورة كافية لا سيما بالعناصر المؤثرة والقيادات الفكرية، لجأوا الى وسيلة العولمة الثقافية من اجل توحيد الثقافات والاديان والغاء ونفي اي ثقافة او دين مخالف لا يسير مع الركب بوصفه منهج عالمي ينضوي تحته جميع العقلاء والمتنورين.

تاريخ الحوار النصراني الإسلامي

العلاقة بين الإسلام والنصرانية علاقة طويلة الأمد عميقة الجذور، متنوعة الأطوار، متعددة الأوجه... كانت بدايتها الهجرة الأولى إلى الحبشة وما تلا ذلك من محاورات في مجلس ملكها النجاشي، ثم تتابعت مكاتبات الرسول الكريم ﷺ إلى الملوك والرؤساء النصارى في مصر والشام ونواحي الجزيرة، ثم انتقلت العلاقة إلى الحرب بين جند الإسلام وجنود هرقل على حدود الشام... وتوالت حركة التاريخ بين الجانبين بين مد وجزر تارة يغلب جانب البيان، وأخرى يُضطر فيها إلى السنان، وتارة تكون الغلبة لجند الرحمن، وتارة يدال منهم، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآيتان ١٤٠، ١٤١]

وفي أثناء ذلك تحولت فئام كثيرة منهم إلى الإسلام، كما تحول كثير من أبناء الأمم والأديان الأخرى إلى هذا الدين، وسيطر الإسلام على كثير من بلادهم فإذا الإسلام يمسك بتلابيب النصرانية ويحاصرها ويحصرها في مضايق ودهاليز أوروبا كما قال جاير دنر في مؤتمر أدنبره للتنصير: (إن مشكلة الإسلام هذه مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة – ليست حتى في مواجهة الأوضاع العاجلة بطريقة لا يمكن وصفها،

والتي تواجهنا في الشرق الأقصى، وهذه أولا، لأن الإسلام على أبوابنا، فمن أقصى الساحل الشمالي لأفريقيا يواجه أوروبا إنه فعلاً يلمسها، ويمكن القول إنه يمسكها عملياً من طرف البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية... فكروا في تلك الكتلة المركزية لعالم الإسلام الصلب من شمال أفريقيا إلى غرب ووسط آسيا إنه كإسفين ثابت يحجب الغرب المسيحي عن الشرق الوثني). وكانت غلبة الإسلام لغيره من الأديان والأقوام محل إعجاب وانبهار من قبل خصومه، حتى قال جورج بوش الجد: (لقد وضع – أي محمد صلى الله عليه وسلم – أساس إمبراطورية استطاعت في ظرف ثمانين سنة فقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكثر وأوسع مما استطاعته روما في ثمانمائة سنة، وتزداد دهشتنا أكثر وأكثر إذا تركنا نجاحه السياسي وتحدثنا عن صعود دينه وانتشاره السريع واستمرار رسوخه الدائم. والحقيقة أن ما حققه نبي الإسلام والإسلام لا يمكن تفسيره إلا بأن الله كان يخصهما برعاية خاصة، فالنجاح الذي حققه محمد صلى الله عليه وسلم لا يتناسب مع إمكاناته، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة).

ويتفق جورج بيترز مع جورج بوش في أن الإسلام يملك مقومات ذاتية تهيئ له القبول وتحميه من الذوبان حيث يقول: (إنني أميل إلى الاتفاق مع فاندر وزويمر وفرينتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من

أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر... إلى أن يقول: وفي ذات الوقت فالنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً ويفوق في ذلك النظام الشيوعي، ولكن هذه الحقيقة يجب ألا تثبط عزم المنصرين أو تعميهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال أو الجسور، فهي حقيقة تضع الإسلام في وجهته التاريخية والدعائية الفريدة فقط، وعلى كل حال يجب ألا تخيفنا هذه الحقائق؛... وليس هناك نظام متماسك لم يترك الرب فيه شروخاً تجد دعوته طريقاً من خلالها).

ويرجع أليكسي جورافسكي في كتابه الإسلام والمسيحية ظهور الإسلام وترسخه السريع والقوي في أراض آسيوية وأفريقية واسعة في أثناء مسيرة الفتوحات الإسلامية الذي حدد - بصورة حاسمة - مصير النصرانية الشرقية التي قابلت الدين الجديد (الإسلام) دون أية مقاومة، بل بالترحاب في كثير من المناطق - ومرد ذلك الموقف إلى عدة عوامل ، أهمها:-

أولاً: تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة طقوس العبادة المسيحية (طبعاً، بشرط التعاون السياسي).

ثانياً: بسبب أن المسلمين حموا المسيحيين من تعديات و اعتداءات و ملاحقات إمبراطورية بيزنطية غير المتسامحة مطلقاً. ويقول في موطن

آخر: والواقع أن الإسلام يتمتع اليوم بشعبية بين السكان الأفارقة، أكبر بكثير من المسيحية. فشعائر الإسلام أكثر بساطة ، ومتطلباته الدينية أقل تشدداً، كما أن الدخول في دين الإسلام يرتبط بصعوبات طقسية أقل بكثير من طقوس التعميد عند المسيحيين. إضافة إلى عامل اجتماعي مهم هنا، مثل تعدد الزوجات، الذي ينظر إليه الإسلام بصورة ميسرة و متسامحة. ولهذا فإن الأسهل على الإفريقي الناضج والأقرب إلى فطرته أن يعتنق الإسلام دون أي دين آخر.

ومع هذا الاعتراف بهذه الحقائق، والإدراك التام لما يحمله الإسلام من مقومات... فلا تزال الرغبة قائمة في تحقيق نصر كاسح يدفع إليه عداء كاشح، ولذا لا يزال السجال العسكري قائما بين الأمتين، يخبو تارة ويعصف في تارة أخرى من خلال حدث تقتضيه الاستراتيجيات، وتمليه المصالح، ويدفع إليه البغي منهم إذا أنِسوا منهم قوة ورأوا منا ضعفاً.

ويرى محمود شاكر رحمه الله أن الصراع بين الطرفين مرّ بأربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: صراع الغضب لهزيمة المسيحية في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام، فبالغضب أمّلت اختراق دار السلام لتسترد ما ضاع، تدفعها بغضاء حية متسامحة، لم تمنع ملكاً ولا أميراً ولا راهباً أن يمد المسلمين بما يطلبونه من كتب (علوم الأوائل – الإغريق)، التي

كانت تحت يد المسيحية يعلوها التراب. وضل الصراع قائماً لم يفتر، أكثر من أربعة قرون.

المرحلة الثانية: صراع الغضب المتدفق من قلب أوروبا، مشحوناً ببغضاء جاهلية عاتية عنيفة مكتسحة مدمرة سفاحة للدماء، سفحت أول ما سفحت دماء أهل دينها من رعايا البيزنطية، جاءت تريد هي الأخرى، اختراق دار السلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذي بقى في الشام قرنين، ثم أرتد خائبا إلى مواطنه في قلب أوربا.

المرحلة الثالثة: صراع الغضب الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوجهة عنيفة، ولكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام بالسلاح وبالحرب، فارتدعت لكي تبدأ في إصلاح خلل الحياة المسيحية، بالاتكاء الشديد على علوم دار الإسلام، ولكي تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك، وظلت على ذلك قرناً ونصف قرن.

وهذه المراحل الثلاث، كانت ترزخ في أغلال (القرون الوسطى) أغلال الجهل والضياع. ولم تصنع هذه المراحل شيئاً ذا بال.

المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، يزيده اشتعالاً وتوهجاً وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر في العظام

على (الترك – أي المسلمين)، وهم شبح مخيف مندفع في قلب أوربا، يلقى ظله على كل شيء، ويفزع كل كائن حي أو غير حي بالليل والنهار. وإذا كانت المراحل الثلاث الأول لم تصنع للمسيحية شيئاً ذا بال، فصراع الغضب المشتعل بلهيب البغضاء والحقد هو وحده الذي صنع لأوربا كل شيء إلى يومنا هذا إلا أنه حدث تغير جذري في مسيرة الحوار مما يضطر الناظر فيه إلى أن يقسمه إلى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: من العهد النبوي إلى عام **١٣٨٠**هـ **١٩٦٠**م.

وهذه المرحلة اقتصرت على اللقاءات والمناظرات في الموضوعات التالية:

١. الدعوة إلى الإسلام، ابتداءً من الدعوة إلى الوحدانية، والإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم واتّباعه، والتحذير من مغبة مخالفته والإعراض عنه، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآية **٦٤**]، وكما أوصى بذلك معاذ بن جبل رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن.

٢. إفحام المجادل وإرغامه، خاصة في دعوى أن الرسول ﷺ يأخذ من التوراة والإنجيل، وما يماثلها من الشبهات.

٣. إزالة الشبهات، وخاصة تحقيق الوحدانية، وتفنيد ادعاء الصاحبة والولد وتكفير الخطايا من قبل البشر، وأن لا يتخذ البشر بعضهم أربابا من دون الله.

٤. التعايش السلمي والاتفاق على الحقوق والواجبات، فيما يتعلق بحقوق الراعي والرعية والشؤون الخارجية والداخلية.

وهذه الموضوعات والمنطلقات واضحة جلية عبر تاريخ هذه العلاقة ولم تخرج عنها، ابتداء من آيات القرآن الكريم التي قررت وأطّرت وحددت مستوى العلاقة بين الجانبين، أو في مكاتباته ومراسلاته ﷺ، أو في مكاتبات الخلفاء والملوك المسلمين، أو في دعوة ومناظرات العلماء المسلمين ومجادلاتهم لأقرانهم ومن يَرِدُ عليهم مناظراً أو مسترشداً.

المرحلة الثانية: من عام **١٣٨٠**هـ **١٩٦٠**م. إلى الآن وإلى ما يشاء الله.

وفي هذه المرحلة التي نعيشها تناولت اللقاءات والحوارات الموضوعات السابقة التي تم تناولها في المرحلة الأولى وزادت عليها

منطلقاً آخر، ألا وهو منطلق التقارب الديني بين النصرانية والإسلام، وهذا هو أبرز ما يميز هذه المرحلة عن السابقة. وإذا كان هذا هو الأبرز فلابد لنا من تتبع بداياته حتى نكون على بصيرة في تقييمه والحكم عليه، والتعاطي معه.

كان عداء النصارى للإسلام والمسلمين سافراً عبر التاريخ، ولهذا العداء أسبابه ودوافعه التي ذكر شيئا منها محمود شاكر كما تقدم، وبين د. الأنبا يوحنا قلته: (أن من الحقائق التاريخية أنه خلال ألف سنة أي بعد القرن السابع إلى السادس عشر للميلاد لم تواجه المسيحية هزة عنيفة كالتي أحدثها الإسلام، ففي شمال أفريقيا محيت المعالم المسيحية، وتوارى تاريخها أو بهت في كثير من البلدان، وعمّق مأساة المسيحية أمام امتداد الإسلام الحروب التي خاضتها الشعوب، بالرغم من أن المسيحيين على أرض الإسلام وفي المناطق العربية تُرك لهم مساحة من حرية العبادة، واشتركوا في كثير من المناصب والسلطة أكثر بكثير مما تركه المسيحيون لليهود... ولكن مع نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ظل الغرب محتلاً للبلاد الإسلامية والعربية، ويمكن القول إن تيار المستشرق لامنس كان هو السائد في وجدان الغرب، ولم يكن لامنس يرى في الإسلام إلا يهودية معربة، ومنذ فجر الإسلام اعتبره المسيحيون عدواً للمسيحية، حاربه البيزنطيون بلا

هوادة، وأطلقوا على المسلمين لقب البربر، ولم يتقبلوا محمداً ﷺ، وحفظ التاريخ تراثاً لا يقل بشاعة عن تراث الحروب الصليبية منذ القديس يوحنا الدمشقي أحد كبار موظفي البلاط الأموي الذي أعلن أن الإسلام هو عدو المسيحية، وسار على هذا المنهج كثيرون من أهل اللاهوت المسيحي مما زرع في قلوب المسيحيين كراهية ورفضا للمسلمين ولحضارتهم، وبعد أن صور هذا النصراني ما تكنه صدورهم نحونا عبر التاريخ؛ بين كيف تم التحول من الحرب إلى الحوار، ومن الجلاد إلى الجدال إذا رأوا لذلك موضعاً، وأمّلوا منه نفعاً. وبين أن العالم الغربي بدأ يغير نظرته إلى الإسلام متأثراً بدعوة لويس ماسنيون **١٨٨٢- ١٩٦٢**م الذي رأى أن الدعوة الإبراهيمية تعتبر وحدة روحية متكاملة، بينما يرى أليكسي أن العالم الأوروبي شهد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي انقسام الفكر الأوربي تجاه الإسلام إلى تيارين أحدهما تبنى الأفكار والتصورات والأساليب الرومانسية ويعتمد على شحن العواطف وتأجيج المشاعر، بينما اعتمد الاتجاه الآخر المنهج التجريبي هذا فيما يتعلق بالأدباء والمفكرين؛ أما رجال اللاهوت فهم إما أُسارى الدوافع السابقة والأهواء الدينية التقليدية، وإما أنهم أبدوا اللامبالاة وعدم الاكتراث تجاه ما يسمى في الغرب مشكلة الإسلام، ومع ذلك بدأت تظهر أصوات جديدة تطرح عقائد أساسية ومن أبرز هذه الأصوات فلادمير سلولوفيوف **١٨٥٣- ١٩٠٠**م ولويس

ماسنيون اللذان يشكلان – بحسب رأي أليكسي – إرهاصاً أولياً ممهداً للحوار النصراني الإسلامي، طرح ماسنيون رؤيته – وإن كان قد سبقه إليها الروسي فلاديمير، ثم ألحق القول بالعمل؛ فشرع في تصنيف عدة كتب عن هذا الأمر، وأسس عدداً من الجمعيات الفرنسية العربية لهذا الغرض، كما تقدم بمبادرات كثيرة لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه الإسلام، وكان له مراسلات واتصالات واسعة مع الهيئات الكاثوليكية العليا بما في ذلك صداقته مع بابا الفاتيكان الباب بولس السادس... كل ذلك مهّد للمناقشات التي دارت في المجمع الفاتيكاني الثاني **١٩٦٢-١٩٦٥** م حول العلاقة بين الكاثوليك والإسلام.

غايات وأهداف الحوار الديني من وجهة نظر المتحاورين

الحديث عن أهدافه وغاياته يتطلب أن يكون كل فرق حدد أهدافه منه بشكل صحيح وواضح، وما لم يكن ذلك فليس أمام الباحث إلا أن يجتهد في استقراء النصوص وتحليل المواقف، وتحديد منطلق كل فريق من هذا الحوار الذي يُدعى إليه.

فأما أهداف المسلمين من هذا الحوار فهي:

١. الدعوة إلى الإسلام قياماً بالواجب ورحمة بالمخالف انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [سورة النحل الآية ١٢٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٦٤].

٢. إحقاق الحق ورد الباطل وتفنيد الشبهة قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الفرقان الآية ٣٣]، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن كثيراً من النصارى يبلغهم الإسلام ويمنعهم منه شبهات تحول بينهم وبينه، فيحتاجون إلى أجوبة عليها.

٣. إقامة الحجة وإفحام الخصم قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة المائدة الآية ١٧].

٤. تحقيق المصالح الشرعية التي لا تتحقق إلا بالتحاور والتعاقد معهم عليها كما فعل الرسول ﷺ مع يهود المدينة ومع نصارى نجران.

أما أهداف النصارى المعلنة من هذا الحوار فهي كما تضمنته وثيقة المجمع المسكوني: (أن يتناسوا – أي النصارى والمسلمون - الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معا العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة الناس جميعاً) أما الأهداف غير معلنة للحوار المتعلق بالقضايا الدينية – التي تظهر في ثنايا توصيات المؤتمرات وفي الأدبيات المتعلقة بهذا الشأن، فمنها:-

١. إخراج الأقليات النصرانية في المجتمعات الإسلامية من عزلتها، وإدماجها في المجتمع، وإتاحة الفرصة لمشاركتها في جميع الأنشطة التي لا تتمكن من التعاطي من خلالها مالم تتفاعل بالحوار، كما أنه يتيح للكنيسة الهدف ذاته؛ فقد أشار رئيس رهبنة اليسوعيين أروب إلى أن الحوار المعاصر يَبرزُ بوصفه شكلاً جديداً للعلاقات بين الكنيسة والعالم، وأن ليس للكنيسة إلا أحد ثلاثة خيارات هي: موقف الجيتو الهارب إلى عالمه الخاص والمنكفئ على ذاته، أو موقف التحريم والتجريم والاقتراب من العالم فقط بهدف إدانته، أو موقف

الحوار وهو الموقف الذي رأى البابا أنه يشكل المنطلق المعبّر أفضل تعبير عن العلاقة بين الكنيسة والعالم.

٢. أنه البديل الآمن عن التنصير الذي يحقق تقريب النصرانية دون أن يستوجس المدعو منه خيفة، فقد ذكر ج. أيدون أور في بحثه المقدم إلى مؤتمر كلورادو أن من دروس الماضي وتوقعات المستقبل: (أنه يجب استبدال تشويه سمعة الإسلام بالتعايش و الحوار دون إضعاف التنصير على الرغم من زيف الإسلام وعجزه)، وذكر د. السماك (أن الغرب يوظف الحوار لهدف التعرف بشكل أفضل على عقلية المسلمين، ودراسة التحولات المستجدة في الفكر الإسلامي عن قرب؛ لتسهيل عملية الاحتواء والاستيعاب والتدجين، وذكر أيضا أن وثيقة الفاتيكان لعام ١٩٨٤م اعتبرت أن الحوار يتيح الفرصة للآخرين كي يختبروا بأنفسهم القيم الإنجيلية بشكل واقعي، وهذا يفهم على أن الحوار هو وجه من وجوه التبشير).

٣. أن تكون الديانة النصرانية (بسيادة الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية الإنجيلية) في الألفية الثالثة القوة التي تستطيع تشكيل الثقافة العالمية في المرحلة القادمة من تاريخ العالم؛ لأنها بحسب رأي

القس رتشارد جون مدير مجلة (first things) هي الديانة الوحيدة التي تستطيع أن تقدم رؤية متكاملة وشاملة ومتفائلة للإنسانية كافة). فهو يرى أن هيمنة النصرانية على غيرها تمكّنها من تشكيل الثقافة العالمية وفق رؤيتها، ولا سبيل إليها إلا من خلال الحوار.

٤. نشر النصرانية والدعوة إليها فقد ذكر د. أبو ليلة رئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية في جامعة الأزهر – بعد أن خاض بعض هذه المؤتمرات - أن هدفهم من هذه المؤتمرات والحوارات هو الدعوة إلى النصرانية ونشر الأباطيل. وذكر أليكسي أن الحوار أريد به أن يكون أسلوباً جديداً للتنصير؛ إذ الهدف من ذلك أن ينضج أصحابُ الديانات الأخرى ليتحقق لهم الخلاص المسيحي. ومما جاء في الأسس التي وضعتها اللجنة الفرعية للحوار والتعايش بين الديانات الحية: (٨- الأسس العقائدية للحوار: يجب أن يكون مبنيا على أساس أننا نجتمع لحل مشاكلنا الخاصة، ولأجل أن نخدم ديننا، ولأجل أن نفكر في كيفية إنقاذ البشرية، والذي لن يتم إلا بالإيمان بالمسيح كمخلص).

٥. زعزعة العقائد وإفسادها، حيث ذكر كل من د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ غاية هذا الحوار في العصر الحاضر فقالا: (والحوار بين المبشرين و بين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية كالمدارس و النوادي و جمعيات الشبان والشابات وسائل لحوار مستتر كثيراً أو قليلاً وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد على ألسنة أشخاص معروفين في قومهم، و الحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يداً و أرفع صوتاً).

٦. اعتراف المسلمين بالديانة النصرانية، و أنهم على شيء من الحق، و أن هناك نقاطاً و مسائل مشتركة بينهم يمكن استثمارها لالتقاء الطرفين، هذا من جانب، ومن جانب آخر للحيلولة بين أتباعهم وبين التفكير في دراسة الإسلام خشية اعتناقهم له.

ولا تزال هناك ثلاثة ينابيع تؤسس لصراع عقائدي حضاري يستهدف إلغاء الإسلام والاستعداء عليه وهي: -

الينبوع الأول: الذاكرة التاريخية الغربية الحافلة بصور العداء التشويهية للإسلام، وهي صور تعكس إصرار الغرب كما تقول الكاتبة الألمانية زينجرد هونكة في كتابها (الله ليس كذلك): (على دفن حقيقة الإسلام في مقبرة الأحكام التعسفية طمساً لمعالمه)، وهذا الإخفاء

المتعمد والشحن النفسي تجده في المناهج المدرسية الغربية، ولعل أبرز شاهد قائم أنه يعقد في فرنسا لقاء موسع كل عام في يوم **٢٦** ديسمبر في الباحة نفسها من دير بلدة كلير مونت في جنوبي فرنسا ويعاد فيها إلقاء خطبة أوربان الثاني التي ألقاها قبل أكثر من **٩٠٠**عام.

الينبوع الثاني: ردود الفعل العنيفة الذي تستدرج إليها حركات إسلامية في بعض الدول الإسلامية.

الينبوع الثالث: الاستنفار الإعلامي الغربي لتوظيف ردود أفعال الحركات الإسلامية في عملية شحن المجتمعات الغربية بمشاعر العداء؛ بحيث تتقبل هذه المجتمعات مسؤولية المواجهة مع العالم الإسلامي على أنها شر لا بد منه.

ومع كل ذلك فكما قال معالي د. النملة فالحوار بشروطه ومقوماته وأركانه تجسير للفجوة التي أدت إلى هذا التصادم المفتعل بين الثقافات، وكلما زادت أساليب الحوار خفت حدة التصادم، على الرغم من أننا لا نستطيع نسيان الحال التي واجهها ولا يزال يواجهها المسلمون من بعض الدول النصرانية؛ مما يفضي إلى الصورة القاتمة ويستدعى تواصل الاعتداء المفتعل، ومع ذلك فليس من المتوقع أن يتوقف التصادم؛ فذلك سنة ربانية، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [سورة هود

الآيتان ١١٨،١١٩]، وقال عز شأنه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة الآية ١٢٠]، ولكن المطلوب في هذا العصر هو تحجيم التصادم.

الخاتمة

وبعد فقد ظهر لنا قبس من نور الكتاب والسنة فيما يحتاج إليه أهل الإسلام في مواجهة أهل الكتاب فالمعركة قائمة معهم إلى قيام الساعة ... والبشرية اليوم تتخبط في عمايات لن ينجيها منها إلا الهداية إلى الإسلام وقد جربت نظريات وتصورات للكون والحياة ومناهج مختلفة فلم يزدها ذلك إلا حيرة وضلالاً ... وبدأ كثير من الناس في الأرض يرمون بأبصارهم نحو الإسلام بعضها ينظر إليه باعتبار أنه العقيدة المؤهلة لتسود العالم أجمع في المرحلة المتبقية من عمر الدنيا والبعض الآخر يراه المنافس الأقوى لدينه ومبادئه فتحمله عقيدته ومصالحه الخاصة على الدس والتشويه والطعن في الإسلام وأهله وافتعال المعارك وتأجيج رحى الحرب على كافة المستويات كما هي عادة أئمة الكفر ... وتبقى شرائح كبيرة من الناس في العالم تائهة ضالة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... أفيتركون كلاً مباحاً لدعاة التقريب بين الأديان؟؟ أم يتركون هنيئاً مريئاً للعصرانيين؟؟

لقد استجابت أمة الإسلام لنداء القرآن في القرون المفضلة فاهتزَّ العالم والوجود بحركتها حمل أسلافنا في تلك القرون لواء الإسلام بصدق

وإخلاص فعمروا الكون وأخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فأضاء نور أمة الإسلام في تاريخ الوجود ثم ترك أقوامٌ منا اللواء في مواطن دون مواطن ومشاهد دون مشاهد وأزمان دون أزمان ورجال دون رجال ... كان منا الظالم لنفسه وكان منا المقتصد وكان منا السابق بالخيرات ولا زلنا نعتقد ونؤمن أننا ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وعندنا من الخيرية والاصطفاء على أهل الأرض ما يجعلنا نخرج العالم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن رق الهوى إلى رحاب عبودية الله ونرفع راية أنوار النبوة وأعلامها لا مشعل النار وحرياته المزعومة!

إنَّ من معالم منهج أهل السنة أنهم يعرفون الحق ويرحمون الخلق ويأمرون بالألفة وينهون عن الفرقة. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى فكيف بالصبر على أذى المؤمنين فيما بينهم؟!. قال تعالى: ﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ . وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (.. فَأَمَرَ سبحانه وتعالى بالصبر على

أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى **وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض متأولين كانوا أو غير متأولين**. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [سورة المائدة ٥/٨] فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم **فكيف إذا كان البغض لفاسق أومبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألاَّ يعدل على مؤمن وإنْ كان ظالماً**. فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا **فإنَّ الشيطان مُوْكَل ببني آدم وهو يعرضُ للجميع ولا يَسْلَمُ أحدٌ من مثل هذه الأمور – دع ما سواها – من نوع تقصير في مأمور أوفعل محظور باجتهاد أوغير اجتهاد وإنْ كان هو الحق ...**).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (... وكثيرٌ من هذه الطوائف يغضب على غيره ويرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع معترضاً في عينه ويذكرُ تناقضَ أقوالِ غيره ومخالفتها للمنصوص والمعقول ما يكونُ له من الأقوال في ذلك الباب ما هو من جنس تلك الأقوال أوأضعف منها أوأقوى منها والله تعالى يأمر بالعلم والعدل ويذم الجهل والظلم كما

قال تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/٧٢]...).

ولن يصل المسلمون إلى النصر والتمكين إلا بفيئتهم للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح علماً وعملاً وكفى بهم تربصاً وتلفتاً تارةً في الشرق وأخرى في الغرب فهم نقاوة العالم فإنْ فاءوا فإنَّ الله غفور رحيم وإنْ عزموا الطلاق فإنَّ الله سميع عليم وسيظل باب التوبة مفتوحاً لا يؤصد إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

وحَسْبُنا كتاب ربنا وسنة نبينا في هدايتنا لكل خير فإنه صلى الله عليه وسلم (لم يحوج أمته إلى أحد بعده و**إنما حاجتهم إلى من يبلغ عنه ما جاء به**. فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص: عمومٌ بالنسبة إلى المرسَل إليهم وعمومٌ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه مَن بُعِثَ إليه في أصول الدين وفروعه؛ فرسالته كافية شافية لا تحوج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وفي هذا فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به ... وقد عرَّفَهُم صلى الله عليه وسلم من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لوعلموه وعقلوه

ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدوأبداً.. وكذلك عرَّفَهُم صلى الله عليه وسلم من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكوامنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه وكذلك عرَّفَهم صلى الله عليه وسلم من أمور معايشهم ما لوعلموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة ...).

إنَّ الواجب في مثل هذه الأزمان على من أعطاه الله هدى وتوفيقاً وعلماً وبصيرة أن يوصل ما خوله الله من نعمته إلى من به إليه حاجة من البشر وحَقٌّ على علماء أمة الإسلام ودعاتها ومثقفيها المخلصين أن يتهيأوا لقيادة العالم كلٌ وما يستطيع ولا تهولنهم الأراجيف ف (**المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة**) فالسعيد من كان له في ذلك حظ ونصيب و(لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) ... وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

- الانسان والدين، ولهذا هم يرفضون الحوار، محمد الحسيني اسماعيل، دار وهبه، القاهرة ط١ عام ٢٠٠٤م.
- بكر بن عبد الله أبو زيد، الإبطال لنظريه الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان(ط١، مصدر الكتاب: موقع الإسلام: http://www.al-islam.com، ١٤٢١هـ)
- التحليل المفصل لنظرية جارودي ونقدها في دعوة التقريب بين الأديان
- التعايش السلمي — هيوكتسكل - ، دراسات في التسامح — ناجي البكري وآخرون - ، تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر — عبد اللطيف الحسين -، مفهوم التعايش في الإسلام — عباس الجراري- ، المسلمون والأوربيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش) — الخزندار-.
- الحوار بين الاديان (حقيقته وضوابطه): فتوى اللجنة الدائمة في (وحدة الأديان) برقم (١٩٤٢) ، وتاريخ ١٤١٨/١/٢٥هـ.
- عبد الودود شلبي، الحوار بين الأديان، دار الاعتصام القاهرة.

- خالد القاسم، الحوار مع أهل الكتاب. دار المسلم، ط١، لسنة ١٤١٤هـ
- يوسف الحسن، دعوة التقريب بين الأديان. الحوار الإسلامي المسيحي (الفرص والتحديات)، (ط١المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٧م
- سامر أبو ريان، الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية.
- عبد الرحيم بن صمايل السلمي، الحوار بين الاديان (حقيقته وضوابطه)
- إبراهيم عبد الله جابر، العلاقات الدولية في ضوء السنة النبوية. أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/جامعة بغداد، لسنة ٢٠٠٥م
- علي بن نايف الشحود، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر)

المحتويات